عِقدُ اللآل

في عقد الودّ بين الصحب والآل

أو

الشهدُ المذاب

من زهر المحبّة بين الآل والأصحاب



الشيخ الشريف الدكتور جميل حليم
الهاشمي الحسيني الأشعري الشافعي
البيروتي ثم المدني
رئيس جمعيّة المشايخ الصوفية

شركة دار المشاريع

عِقْدُ اللآل

في عِقْدِ الوُدِّ بين الصُّحب والآل

أَوْ

الشَّهْدُ المُذاب

مِنْ زَهْرِ المحبَّةِ بين الآلِ والأصحاب

الشيخ الشريف الدكتور جميل حليم
الهاشمي الحسيني الأشعري الشافعي
البيروتي ثم المدني
رئيس جمعيَّة المشايخ الصوفية

شَرِكَةُ دار المَشَارِيع

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم
ربّ يسّر

الحمد لله على خصوص المنح وعموم النعماء، وله الشكر على ما أولى من عظائم المنن وكرائم الآلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جلّت نعوته عن الإحصاء، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله سيد الرسل وخاتم الأنبياء، المنتخب من لباب العرب العرباء، والنبيّ ﷺ المنتجب من أعلى سنام الذروة العلياء، صلّى الله عليه وعلى جميع عترته الطاهرة وصحابته الأنجم الزاهرة وأهل بيته وأزواجه وذريته الفضلاء.

وبعد، يقول الله سبحانه وتعالى في القرءان الكريم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]، ويقول جلّ شأنه: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[2]، ويقول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[3]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[4].

وقد فضّل الله تعالى نبينا عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سائر النبيين والمرسلين، وفضّل أمته على سائر الأمم، وكان لأهل بيته الكرام مزية اختصهم الله تعالى بها. وقد جاء في فضلهم الكثير من الأحاديث والآثار منها ما رواه مسلم في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»، ومنها ما

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٩٦.
(٤) سورة البينة، الآية: ٧.

روى الترمذيّ[1] أنه لمّا نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]. في بيت أم سلمة، دعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلّلهم بكساء وعليٌّ خلف ظهره فجلّله بكساء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا**».

وهذا إنما هو غيض من فيض مما جاء وثبت وورد في فضل أهل البيت النبويّ الشريف الطاهر الزكيّ، فيا سعد من ثبت على نهجهم واقتفى ءاثارهم ومشى على دربهم بالعلم والعمل والثبات والصدق والإخلاص. وأما صحابة رسول الله فقد ورد في شأنهم ما لا يحصى من الآثار والأحاديث والآيات.

فقد قال الله تعالى في مدح النبيّ الأكرم ﷺ وصحابته الأجلاء: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾[3].

إنّ الصحابة الكرام هم من رموز أمة الإسلام بعد النبيّ عليه الصلاة والسلام، هؤلاء الأفاضل الذين اختارهم الله تعالى لصُحبة خاتم أنبيائه، فساروا على هدي القرءان الكريم وسنّة نبيه العظيم، فكانوا كوكبة منيرة قال فيهم رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**» رواه البخاريّ[4]. وعن عبد الرحمن بن سالم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله اختارني واختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه**

---

(١) سنن الترمذي، الترّمذي، كتاب تفسير القرءان، باب (٣٤) من سورة الأحزاب، (٥/ ٣٢٨)، رقم (٣٢٠٥). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٤) صحيح البخاريّ، البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، (٣/ ٢٢٤)، رقم (٢٦٥٢).

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا». رواه الطبراني[١].

هذا هدْيُ محمد ﷺ وما علمنا إياه عن صحابته الكرام بما يشمل ءاله الذين كانوا في حياته، وهو الذي بشّر بالجنة من شهد بدرًا والحديبية ومن بايع تحت الشجرة وبشّر عشرة من الصحابة بالاسم، فنشهد بما شهد به النبي ﷺ لا نحيد عن هذا أبدًا، فعن جابر أن عبدًا لحاطب جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال لرسول الله ﷺ: «**ليدخلن حاطب النار**»، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبت، لا يدخلها فقد شهد بدرًا والحديبية**» رواه مسلم[٢]. وعن جابر أيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة**»، رواه الترمذي[٣]. وروى الترمذي عن عبد الله بن الزبير قال كان اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان فقال له النبي ﷺ: «**أنت عتيق الله من النار**» فسُمي عتيقا لذلك[٤].

ولما أرادوا دفن الصدّيق قال جابر: فُتح الباب ولا ندري من فَتح لنا وقال: ادخلوا ادفنوه ولا نرى شخصًا ولا شيئًا. كذا في الصفوة. وفي رواية سمعوا صوتًا يقول: ضموا الحبيب إلى الحبيب[٥]. وقد قال إبراهيم النخعي: «كان أبو بكر يُسمى الأوّاه لرأفته ورحمته[٦]».

ويقول ربنا سبحانه ءامرًا بالأخوّة والاعتصام بحبله المتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) المعجم الكبير، الطبراني، (١٧/ ١٤٠)، رقم الحديث (٣٤٩)، قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه، (١٠/١٧).

(٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب(٤٤) فضائل الصحابة، باب (٢٦) من فضائل أهل بدر، (٤/ ١٩٤٢)، رقم (٢١٩٥).

(٣) سنن الترمذي، كتاب (٥٠) المناقب، باب (٥٨) فضل من بايع تحت الشجرة، (٥/ ٦٥٢)، رقم (٣٨٦٠). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الرياض النضرة، المحب الطبري، (١/ ٤٠٣).

(٥) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، الشبلنجي، (ص/ ١١٩).

(٦) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، (ص/ ١٩).

ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

ولقد ترك رسول الله ﷺ هذه الأمة على المحجّة البيضاء، تركهم على دين الإسلام، ولم يرتضِ لهم أن يتفرّقوا فِرقًا مختلفين. فعن عبد الرحمن بن عمرو السلميّ أنه سمع العرباض بن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله ﷺ، إن هذه لموعظة مودّع، فما تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضّوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما قيد انقاد**» رواه ابن ماجه[2].

قال المناويّ[3]: «قوله: «**قد تركتكم على البيضاء**» وفي رواية «**المحجة البيضاء**» وهي جادة الطريق «**ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، فمن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**» فيه من معجزاته الإخبار بما سيكون بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر، وقد كان عالِمًا بها من حيث الإجمال لما صح أنه كُشِفَ[4] له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم ولم يكن يظهره لأحد، بل كان ينذر منه إجمالًا ثم يلقي بعض التفصيل إلى بعض الآحاد «**فعليكم**» الزموا التمسك «**بما عرفتم من سنتي**» أي طريقتي وسيرتي القديمة بما أصّلته لكم من الأحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة، وتفسير السنة بما طلب طلبًا غير

(١) سورة ءال عمران، الآية: ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، باب اتّباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، (١/ ٢٩)، رقم (٤٣).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناويّ، (٤/ ٦٦٤).

(٤) النبي ﷺ لا يعلم الغيب بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأعراف/ ١٨٨] وإنما يعلم بعض الغيب باطلاع الله له.

لازم اصطلاح حادث قصد به تمييزها عن الفرض **«وسنة»** أي طريقة **«الخلفاء الراشدين المهديين»** والمراد بالخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم فإن ما عرف عن هؤلاء أولى بالاتباع من بقية الصحب، وهذا بالنظر لتلك الأزمنة وما قاربها، **«عضوا عليها بالنواجذ»** أي عضوا عليها بجميع الفم كناية عن شدة التمسك ولزوم الاتباع لهم والنواجذ الأضراس والضواحك والأنياب أو غيرها **«وعليكم بالطاعة»** أي الزموها **«وإن»** كان الأمير عليكم من جهة الإمام **«عبدًا حبشيًّا»** فاسمعوا له وأطيعوا **«فإنما المؤمن كالجمل الأنف»** أي المأنوف وهو الذي عقر أنفه فلم يمتنع على قائده **«حيثما قيد انقاد»** اهـ.

وأخرج ابن عساكر عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة وأعتق بلالًا من ماله، رحم الله عمر يقول الحقّ وإن كان مرًّا، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة، رحم الله عليًّا اللّهم أدر الحق معه حيث دار»**[1].

وقد أردنا من هذه العجالة أن يتعرّف القارئ الساعي إلى الحقيقة على عمق المحبة والتكاتف بين ءال بيت النبي الأعظم ﷺ والصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى.

---

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب، (٥/ ٥٩٢)، رقم (٣٧١٤). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وانظر نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، الشبلنجي، (ص/ ١٦).

كلمات من القلب فلنقف عندها

في الوقت الذي تنتشر فيه الفتن وتعمُ فيه البلايا والقلاقل والخراب والدمار وسفك الدماء وتهجير الناس من أوطانهم مما يفرح العدو ويجعله كثيرًا ما يصطاد في الماء العكر فلنكن مشاعل نورٍ تضيئ الدروب ودعاة خيرٍ ندعو إلى ما يحبه الله ويرضاه ونعمل على رأب الصدعِ وتوحيد الكلمة ووحدة الصف وجمع الشمل على طاعة الله ولنقف عند سيرةِ صحابة رسول الله العظماء وأهل بيته الأجلاء الذين نشروا الإسلام والمحبة والوئام وكانوا كالبنيان المرصوص ففتحوا الدنيا ونشروا الهدى ولنتمسك بنهجهم والمحبة والمودة والأخوة والترابط الذي جمعهم فكانوا يدًا واحدة وكلمة واحدة وقلبًا وصفًا واحدًا وسنذكر في رسالتنا هذه ما يدل على ذلك ويثبته حتى مِن كُتُبِ غير أهل السنة والجماعة من باب الإستئناس بذلك ولبيان أنهم كانوا على الحق والنهج القويم متعاونين على البر والتقوى وأن هذا الأمر يعرفه أهل التواريخ والسيرِ من كل الفرق والمذاهب.

الباعث على تأليف الكتاب

الحمد لله الذي جعل الدنيا مضمارًا لخلقه، ابتلى أخبارهم، وأحصى ءاثارهم، وقدّر فيها ءاجالهم، وكتب بها أعمالهم، وجعل الموت غايتهم التي إليها يجأرون، وعنها من الأجداث إلى ربهم ينسلون، وبيّن أنّهم في ديوان الانتقال إليه تعالى يشهدون بقوله تعالى لنبيّه عليه الصّلاة والسّلام ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].

أحمده على نعمه الباطنة والظاهرة، وأشكره على حسناته المتكاثرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدّخرها عنده لألقاها، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدًا عبده ورسوله خير البرية وأتقاها، وأعلاها رتبةً عند الله وأذكاها، فهو الذي أزال به عن الأمّة عناها، وألهمها رشدها وهداها، صلى الله عليه صلاةً طيبةً وعلى ءاله وأصحابه وأهل بيته الكاشفين عن الأمّة عماها، الباذلين في نصرة دينه الهمم التي لا تضاهى وبعد: فإنّ الباعث على تأليف هذا الكتاب إطلاع القارئ على شيء من التاريخ المجيد للأمّة الإسلامية، فإنّ علم التاريخ لا شكّ في جلالة قدره، وعظم موقعه، ينتفع به لتوثيق حوادث الزمان، وسير الناس وما أبقى الدهر من أخبارهم بعد أن أبادهم، ليكون عبرةً لمن اعتبر وتنبيهًا لمن افتكر، واختبار حال من مضى وغبر، وإعلامًا بأنَّ ساكني الدنيا على سفر، وفي ضبطه بالسنين أمور مهمة وفوائد جمّة وتبيان للحقائق كما جاءت، ونحن أحببنا أن نسلط الضوء على حقبة تاريخية مضيئة، تنورت بصحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين الذين كانوا متحابين، رحماء بينهم وأن نذكر شيئًا من سيرتهم الزكية العطرة المباركة ونظهر مدى الترابط الأسري والأخوي الذي كان يسود بينهم، وهذا الذي عليه ويؤيده كل منصف للصحابة والآل ويسير على نهجهم ويقتدي بآثارهم ولا يلتفت إلى ما ذهب إليه بعض المشوشين الذين زوروا الواقع وابتعدوا عن الحقيقة وعملوا على زرع بذور الفرقة والشقاق في صفوف المسلمين،

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٩.

وحسبنا قول الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[1]، وقد بين الله سبحانه في هذه الآية أنّه ألّف بين قلوبهم حتى أصبحوا بنعمته إخوانًا فمن ذا الذي يستطيع بعد ذلك أن يفرق بينهم. ءامنا بما قال الله تعالى وصدقنا والحمد لله أولًا وءاخرًا.

(١) سورة ءال عمران، الآية: ١٠٣.

التوطئة

الميزان في بيان عقيدة أهل الإيمان

الحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيم الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرّيته وأهلِ بيته الميامين المكرّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيّبين الطَّاهرين، ومن تَبعهم بإحسان إلى يوم الدّين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمّة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تعرض عليه عقائد الناس، فمن كذبها فلا يكون من المسلمين، وهي ميزان الحقّ الذي يكشف زيف الباطل وزيغه، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهم لخصوص الغرض وعموم النّفع.

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنّهُ يجبُ على كلّ مكلفٍ أن يعلمَ أنّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حيّ قيّومٌ لا تأخذُهُ سنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ، والبحرِ وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبّةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيء عددًا، فعالٌ لما يريد، قادرٌ على ما يشاء، له الملكُ وله الغنى، وله العزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يفعلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويحكمُ في خلقِهِ بما يشاءُ، لا يرجو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليه حقٌّ [يلزمه] ولا عليه حكمٌ، وكلّ نعمةٍ منْهُ فضلٌ وكل نِقمةٍ منه عدلٌ، لا يسألُ عمّا يفعَلُ وهم يسألونَ. موجودٌ قبلَ الخلقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ

ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ، ولا بعضٌ، ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النّفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

نقول جازمين معتقدين صادقين مخلصين، بأنّا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، الفرد الصّمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذ صاحبة وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأول القديم الذي لا يُشبه مخلوقَاته بوجه من الوجوه، لا شبيه ولا نظير له، ولا وزير ولا مُشير له، ولا مُعين ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثْلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أدواتَ ولا أركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له، فلا حجمَ له ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتّساعَ له، ولا جهةَ ولا حيِّزَ له، ولا أينَ ولا مكانَ له، كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان بلا مكان.

تنزَّه ربّي عن الجلوس والقعود والاستقرار والمحاذاة، الرّحمـن على العرش استوى استواءً منزهًا عن المماسة والاعوجاج، خلق العرشَ إظهارًا لقدرته ولم يتَّخِذه مكانًا لذاته، ومن اعتقد أنّ الله جالسٌ على العرش فهو كافر، الرّحمن على العرش استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فهو قاهرٌ للعرش مُتصرِّفٌ فيه كيف يشاء، تنزَّه وتقدَّسَ ربّي عن الحركة والسكون، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافة، وعن التَّحوُّل والزّوال والانتقال، جلَّ ربّي لا تُحيط به الأوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إله إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِماتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا

يُعرَفُ بالحواسّ[1] ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحّدُه ولا نُبَعّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسّم كافر وإن صام وصلّى صورةً، فالله ليس شبحًا وليس شخصًا، وليس جوهرًا وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا لا روح له، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعّض ولا يتعدّد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدأً ولا مُختتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام، هو صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصّفةِ يستلزمُ حدوثَ الذّاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾، ومن زعم أنّ إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه

---

(١) أي أنَّ الله منزهٌ عن الشَّمّ والذَّوق والإحساس وسائر صفاتِ المخلوقين وليس معناه أنه لا يُتوصلَ إلى معرفتهِ بالعقل السليم.

الجهات السّت كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفر.

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من الأجسام والأجرام والأعمال والحركات والسّكنات والنّوايا والخواطر وحياة وموت وصحّة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجنّ والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبّات الرّمال والحصى في السّهول والجبال والقفار فهو بخلق الله بتقديره وعلمه الأزلي والإنس والجنّ والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أنّ سَيّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعيننِا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا، عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمّة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقّ والجنَّة، صلّى الله عليه وعلى كلّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسائر العشرة المبشّرين بالجنّة الأتقياء البررة وعن أمّهات المؤمنين زوجات النّبي الطاهرات النّقيات المبرّءات، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحقّ الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمّة الإسلامية، والحمد لله ربّ العالمين.

ما بين الصحابة والآل
بنيان متماسك

إنّ العلاقة القوية بين الآل الأطهار والصحابة الأبرار هي علاقةُ محبةٍ ومودة واحترام متبادل، وهذا الذي توررده كتب أهل السنة جمعاء.

فإذا نظرنا من زاوية الصحبة، فعليّ كرّم الله وجهه وهو أعظم أهل البيت شأنًا مِن كبار الصحابة الكرام، وكذلك ابناه الحسن والحسين سبطا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وإذا نظرنا من زاوية الآل، فإن دائرة ءال النبيّ ﷺ تتسع لتشمل في بعض نواحيها كل الصالحين، وتتخصّص أحيانًا بأمهات المؤمنين وأقارب النبيّ عليه الصلاة والسلام وهم ءال عليّ وءال عقيل وءال جعفر وءال عباس، الذين حُرّم عليهم أخذ الزكاة.

وقد بيّن القرءان الكريم والسنة المطهرة مكانة أهل البيت عليهم السلام دون إجحاف، كما بيّن فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

وشُحِنَت كتب السنة بفضل سيدنا عليّ رضي الله عنه وفضل سبطي النبيّ الأكرم ﷺ وريحانتيه، ولم يدع أهل السنة مجالًا للشكّ في محبتهم لآل البيت، ولذا فكتب الحديث زاخرة بروايات صحيحة متعدّدة في فضل محبة الصالحين من ءال البيت وإكرامهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يتقلّبان على بطنه ويقول: «**ريحانتاي من هذه الأمة**» رواه النسائيّ[1].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيّ ﷺ على المنبر، والحسن

---

(١) سنن النسائيّ الكبرى، النسائيّ، كتاب المناقب، باب فضائل الحسن والحسين ابني عليّ، (٥/ ٤٩)، رقم (٨١٦٧).

إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**». وفي رواية: «**فئتين عظيمتين من المسلمين**» رواه البخاريّ[1].

وصدق رسول الله ﷺ، فقد كان قوله في الحسن أيضًا نبوءة باهرة، ففي صحيح البخاريّ[2]: «استقبل والله الحسنُ بن علّي معاويةَ بكتائبَ أمثالِ الجبال، فقال عمرو ابن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية – وكان والله خير الرجلين–: أي عمرو، إن قَتَلَ هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، مَن لي بأمور الناس؟ مَن لي بنسائهم؟ مَن لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس، عبدَ الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه، فأتياه فدخلا عليه فتكلّما وقالا له فطلبا إليه. فقال لهما الحسن بن عليّ رضي الله عنهما: إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالا: نحن لك به، فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه» اهـ.

وعن أنس بن مالك قال: مرض عليٌّ رضي الله عنه فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلست عنده معهما فجاء النبي ﷺ فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر قد تخوَّفنا عليه يا رسول الله فقال ﷺ: «**لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتى يملأ غيظًا ولن يموت إلا مقتولًا**»[3].

وعن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**من أشقى الأولين يا عليّ**؟ قال:

---

(١) صحيح البخاريّ،كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، (٥/ ٣٢)، رقم (٣٧٤٦).

(٢) المرجع نفسه، باب قول النبيّ ﷺ للحسن بن علّي رضي الله عنهما: «**ابني هذا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ**. وقوله جلّ ذكره: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ (الحجرات)، (٣/ ٢٤٣)، رقم (٢٧٠٤).

(٣) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٢١٤).

علي بن أبي طالب يقول لأهله: والله لوددت أن لو انبعث أشقاها. أخرجه أبو حاتم[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «**مالي أراكم تختلفون في أصحابي؟ أما علمتم أنّ حبي وحبّ أهل بيتي وحبّ أصحابي فرضه الله تعالى على أمتي إلى يوم القيامة؟**» ثم قال: «**أين أبو بكر؟**» قال: ها أنَذا يا رسول الله ﷺ. قال: «**ادنُ مني**» فضمّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ورأينا دموع رسول الله ﷺ تجري على خده، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته: «**معاشر المسلمين هذا أبو بكر الصديق، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا صاحبي صدّقني حين كذّبني الناس وءاواني حين طردوني واشترى لي بلالًا من ماله فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريء وأنا منه بريء، فمن أحب أن يبرأ من الله فليتبرأ من أبي بكر الصديق وليبلغ الشاهد منكم الغائب**» ثم قال: «**اجلس يا أبا بكر**» ثم قال ﷺ: «**أين عمر ابن الخطاب؟**» فوثب إليه عمر، فقال: ها أنَذا يا رسول الله ﷺ. فقال: «**ادنُ مني**»، فدنا منه فضمّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ورأينا دموع رسول الله ﷺ تجري على خده، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته: «**معاشر المسلمين هذا عمر بن الخطاب، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه ظهيرًا ومشيرًا يقول الحقّ وإن كان مرًا هو الذي لا يخاف في الله لومة لائم هو الذي يفرق الشيطان من شخصه هو سراج أهل الجنة، فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء وأنا منه بريء**».
ثم قال: «**أين عثمان بن عفان؟**» فوثب عثمان وقال: ها أنَذا يا رسول الله ﷺ. فقال: «**ادنُ مني**» فدنا منه فضمّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ورأينا دموعه تجري

---

(1) أي: من أشقى الآخرين.

(2) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ١٢١).

على خده، ثم أخذ بيده وقال: «**يا معاشر المسلمين هذا عثمان بن عفان، هذا شيخ المهاجرين والأنصار، هذا الذي أمرني الله أن أتخذه سندًا وختنًا على ابنتي ولو كان عندي ثالثةٌ لزوجتها إيّاه هذا الذي استحيت منه ملائكة السماء فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللّاعنين**»، ثم قال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فوثب إليه وقال: ها أنَذا يا رسول الله ﷺ. قال: «**ادنُ مني**» فدنا منه فضمّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه، ودموعه تجري على خده، ثم أخذ بيده وقال بأعلى صوته: «**معاشر المسلمين، هذا شيخ المهاجرين، هذا أخي وابن عمي وختني هذا لحمي ودمي وشعري هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنّة هذا مفرّج الكرب عنّي هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه فعلى مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين والله منه بريء وأنا منه بريء فمن أحبّ أن يبرأ من الله فليبرأ من عليّ بن أبي طالب، وليبلغ الشاهد منكم الغائب**» ثم قال: «**اجلس يا أبا الحسن**». خرَّجه أبو سعد في شرف النبوة[1].

وعن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير «خم» أمر بدوحات فقممن[2]، ثم قال: «**كأني قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»، ثم قال: «**إنّ الله مولاي، وأنا وليّ كل مؤمن**»، ثم أخذ بيد عليّ فقال: «**من كنت وليه فهذا وليه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**» فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان في الدوحات رجل إلا رءاه بعينه وسمع بأذنه» رواه النسائيّ[3].

---

(١) شرف النبوة، (خ ل ١٦٤)، أورده بتمامه ولم يسق سندًا. وأورده ابن الملا في وسيلة المتعبدين بتمامه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، (٥/ ١٧٨-١٨١). الرياض النضرة، (١/ ٢٤٤-٢٤٦).

(٢) معنى «دوحات قممن»: ساحات نُظّفت للتجمع فيها.

(٣) سنن النسائيّ الكبرى، كتاب المناقب، باب فضائل علّي رضي الله عنه، (٥/ ٤٥)، رقم (٨١٤٨).

وعن سعيد بن المسيّب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك خلّف عليًّا بالمدينة، فقالوا فيه: مَلَّهُ وكَرِهَ صحبتَه! فتبعَ عليٌّ النبيَّ ﷺ حتى لحقه بالطريق، فقال: يا رسول الله ﷺ خلّفتني بالمدينة مع الذراري والنساء حتى قالوا مَلّه وكَرِهَ صحبته؟! فقال له النبيّ ﷺ: **«يا عليّ، إنما خلفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيَّ بعدي»** رواه النسائيّ[1].

وليس نقل هذه الأحاديث في كتب السنّة تفضُّلًا من أهل السنّة على عليّ رضي الله عنه، بل هي الأمانة العلمية والدينية التي تميّز بها أهل السنة، حيث بلّغوا الأمّة ما قاله نبيّها ﷺ في أصحابه الكرام رضي الله عنهم كلّهم. فعن البراء قال: رأيت النبيّ ﷺ والحسن بن عليّ على عاتقه وهو يقول ﷺ: **«اللّهم إنّي أحبّه فأحبّه»**[2].

ولا شكّ أنّ رواية هؤلاء الصحابة وغيرهم هذه الأحاديث في فضائل عليّ وأهل بيته من أقوى الأدلّة على محبتهم لهم وإقرارهم بفضلهم رضي الله عنهم جميعًا، وحشرنا في زمرته وزمرتهم تحت لواء النبيّ ﷺ.

وقد مشى التابعون ومَن بعدهم على خُطا الصحابة الكرام رضي الله عنهم في إكرام ءال بيت النبيّ ﷺ، فقد «أتى عبدُ الله بن حسن بن حسين عمرَ بن عبد العزيز في حاجة، فقال له: إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إليّ، فإنّي أستحيي من الله أن يراك على بابي، ودخلت فاطمة بنت عليّ على عمر بن عبد العزيز، وهو أمير المدينة، فبالغ في إكرامها، وقال: والله، ما على ظهر الأرض أهل

---

(١) سنن النسائي الكبرى، كتاب المناقب، باب فضائل علي رضي الله عنه، (٥/ ٤٤)، رقم (٨١٣٨). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، (٧/ ١٢٠)، رقم (٦٣٧١).

(٢) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (٢٤٠).

بيت أحبّ إليّ منكم، ولأنتم أحبّ إليّ من أهلي»[1].

وسنرى أنّ محبّة ءال بيت النبيّ ﷺ ستبقى في ضمائر الأمة في كل العصور، وأنّ أحداث الفتن التاريخية لم تغيّر شيئًا من عقيدة الأمة في احترام ءال بيت نبيّها رضي الله عنهم.

وإذا كانت كتب الحديث تبيّن أنّ علامة الإيمان حبّ الأنصار، وأنّ بغضهم علامة النّفاق، كما في صحيح البخاريّ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**ءاية الإيمان حبّ الأنصار، وءاية النفاق بغض الأنصار**» رواه البخاريّ[2]، فإن هذه الكتب الحديثية الكريمة تبيّن أن لسيدنا عليّ المزية ذاتها، ففي سنن النسائيّ عن عليّ رضي الله عنه[3] أنه قال: «**إنه لعهد النبيّ ﷺ الأميّ ﷺ إليّ إنه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق**».

ومن اللطيف أنّ الإمام مسلمًا[4] أخرج الحديثين تحت عنوان واحد في كتاب الإيمان، فقال: «باب: الدليل على أن حبَّ الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان».

ويكفي لجلاء البيان أن نذكر كلام بعض أئمة أهل البيت، قال سيدنا جعفر الصادق[5]: «لعن الله عبد الله بن سبأ، إنّه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين، وكان

---

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتميّ، باب إكرام الصحابة ومَن بعدهم لأهل البيت، (٢/ ٦٨١ - ٦٨٢).

(٢) صحيح البخاريّ، كتاب الإيمان، باب: علامة الإيمان حب الأنصار، (١/ ١١)، رقم (١٧).

(٣) سنن النسائيّ، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان، (٨/ ١١٥)، رقم (٥٠١٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعلّي رضي الله عنهم من الإيمان.

(٥) جعفر الصادق رضي الله عنه هو جعفر بن محمد الباقر بن علّي زين العابدين بن الحسين السبط ت ١٤٨هـ، الهاشميّ القرشيّ، أبو عبد الله: كان من أجلاء التابعين. وله منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه جماعة، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس وكان جريئًا عليهم صدَّاعًا بالحق. مولده ووفاته بالمدينة. الأعلام، الزركلي، (٢/ ١٢٦).

والله أمير المؤمنين عبدًا طائعًا لله، الويل لمن كذب علينا، وإن قومًا يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، نبرأ إلى الله منهم، نبرأ إلى الله منهم»[1] اهـ.

وروى الحاكم[2]: «عن ربيعة بن ناجد عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**يا عليّ إنّ فيك من عيسى عليه الصلاة والسلام مثلًا: أبغضته اليهود حتى بهتوا أمّه، وأحبّته النّصارى حتى أنزلوه بالمنزلة الذي ليس بها**»، قال: وقال عليّ: «ألا وإنّه يهلك فيَّ محبٌّ مطرٍ يفرطني بما ليس فيَّ، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني[3] على أن يبهتني! ألاَ إني لست بنبيّ ولا يوحى إليَّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم وما أمرتكم بمعصية أنا وغيري فلا طاعة لأحد في معصية الله عزّ وجلّ، إنما الطاعة في المعروف» اهـ وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

محبة ءال البيت واجب على كل مكلف

أوجب الله تعالى محبة ءال النبيّ ﷺ والصحابة على السواء فالتزم بذلك ونهل من بركات هذه الطاعة من نوَّر الله قلوبهم، قال صاحب نور الأبصار في فضل الخليفة الراشد عليّ بن أبي طالب نقلًا عن بغية الطالب لمعرفة أولاد عليّ بن أبي طالب: «وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم

---

(١) مودة ءال البيت، (ص/ ٣٥)، وعزاه إلى رجال الكشّي (ص/ ١٠٦).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٣) وصححه وتعقبّه الذهبي بقوله: «الحكم بن عبد الملك دهاه ابن مَعين»، وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل في زوائد المسند (١/ ١٦٠)، والبزار في مسنده الحافظ (٣/ ١١ - ١٢)، وأبو علي في مسنده (١/ ٤٠٦ - ٤٠٧)، وضعفه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٣٣) فقال: «وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف، وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف».

(٣) الشانئ: المبغض، مختار الصحاح، الرازي، (ص/ ٣٥٥). أي: يحمله بغضه لي على أن يبهتني فينسب لي ما أنا بريء منه.

والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة وشدته في نصر الإسلام ورسوخ قدمه في الإيمان وسخائه وصدقته مع ضيق الحال وشفقته على المسلمين وزهده وتواضعه وتحمله، وتفاصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل والقاضي إسماعيل بن إسحق وأبو علي النيسابوري والنسائي: لم ترو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضل عليّ بن أبي طالب. قال السيد السمهودي في جواهر العقدين: والسبب في ذلك والله أعلم أنّ الله تعالى أطلع نبيّه ﷺ على ما يكون بعده مما ابتلي به عليّ رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما ءال إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته، ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبيَّنها نصحًا للأمّة، ثم أيضًا لـمّا اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبّه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببثّ الفضائل حتى كثرت نصحًا للأمة ونصرة الحق، اهـ من بغية الطالب»[1].

وأكثر من هذا فقد كان أهل الفهم العارفين لفضل ءال البيت يتبركون بهم وأخبارهم في هذا أوسع من أن تجمع في مثل مقامنا فسأكتفي بذكر بعض الأمثلة، قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقري في كتاب مشارق الأنوار قد حصل لي سنة مائة وسبعين بعد الألف كرب شديد من كروب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب أخت الحسين وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عني الكرب ببركتها وأولها[2]:

ءال طه لكم علينا الولاء لا سواكم بها لكم ءالاء

(١) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (١٦٥).
(٢) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٣٧٩-٣٨١).

مدحكم في الكتاب جاء مبينا أنبأت عنه ملة سمحاء
حبكم واجب على كل شخص حدثتنا بضمنه الأنباء
إنني لست أستطيع امتداحا لعلاكم وأنتم البلغاء

وفيها:

شرفت مصرنا فيكم ءال طه فهنيئا لنا وحق الهناء
منكم بضعة الإمام علي سيف دين لمن به الإهتداء
خيرة الله أفضل الرسل طرا من له في يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم وحماها من السقام شفاء

وفيها:

لا يضاهي ءال النبي وصيف لا يوفّي كمالهم أدباء
شرفت منهم النفوس وساروا حيثما أشرفوا فهم شرفاء
وعليهم جلالة وفخار ووقار وهيبة وضياء

وختمها بقوله:

يا كرام الورى أغيثوا نزيلا أجحفته الخطوب والأدواء
قسما إنّ وصفكم في الثريا أيدتكم نجومها والسماء
فتوسل بهم لكل صعيب حيث جاء ابتغوا فهم شفعاء
وصلاة على النبي وءال وكذا الصحابة الأتقياء
ما حمام بروضة قد تغنى أو على الدوح تسجع الورقاء

أو عبيد الرحمن أنشأ مدحا ءال طه لكم علينا الولاء

وكان سيدي عليّ الخوّاص عند زيارته لقبر السيدة الشريفة زينب بنت عليّ أخت الحسين المدفونة بقناطر السباع يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشي حافيًا حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى في أن يغفر له[1].

ومن الشريفات السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور بن السيد زيد الأبلج ابن حسن السبط بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم قبرها في مصر يزار والدعاء عنده مستجاب ولها كرامات باهرة. وكان الإمام الشافعي إمام أهل السنة والجماعة إذا مرض يرسل لها إنسانًا من أصحابه يسألها الدعاء[2]. وكان يتوسل بهم ويرجو بركتهم ويقول[3]:

ءال النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أُعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

من محبة سيدنا عمر لآل البيت

روى الحاكم[4]: «عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «قال عمر بن الخطاب: عليٌّ أقضانا وأُبيٌّ أقرأنا» اهـ.

وعن سعيد بن المسيّب قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[5].

---

(١) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٣٧٧).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٣٨٧-٣٩١).

(٣) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٢٣٣).

(٤) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ذكر مناقب أبيّ بن كعب، (٣/ ٣٤٤)، رقم (٥٣٢٨).

(٥) فتح الباري، ابن حجر، (١٣/ ٣٤٣).

وقال السّمهودي[1]: «ومن طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: وكان لأهل بدر مجلس مع عمر رضي الله عنه لا يجلسه غيرهم فكان عليّ رضي الله عنه أوّلهم دخولًا وءاخرهم خروجًا».

قال عمر بن الخطاب: لقد أُعطي عليّ ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إليَّ من أن أُعطى حمر النعم، فسئل ما هنّ؟ قال: تزوجه ابنته فاطمة -أي ابنة الرسول-، وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له[2]، والراية يوم خيبر[3].

(١) جواهر العقدين في فضل الشرّفين شرف العلم الجلّي والنّسب النبويّ، نور الدّين علي بن أحمد السّمهودي.

(٢) أنه رخص لعلي بالمكث بالمسجد حتى لو كان جنبًا.

(٣) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٣١٥).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحبّ ءال البيت كثيرًا، ويعظّمهم غاية التعظيم، ويستسقي بهم إذا نزل بالناس قحط، وكان إذا مرّ به سيدنا العباس وهو راكب، نزل عن دابته حتى يجوز ويقطع إجلالًا له، ويقول: «عمّ الرسول»[1] اهـ.

وروى البخاريّ[2]: «حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاريّ قال: حدّثني أبي عبد الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن أنس أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا، قال: فيسقون» اهـ.

وأما توسل عمر بالعبّاس بعد موت النبيّ ﷺ فليس لأنّ الرسول قد مات بل كان لأجل رعاية حقّ قرابته من النبيّ عليه الصلاة والسلام بدليل قول العباس حين قدّمه عمر: «**اللهمّ إنّ القوم توجهوا بي إليك لمكاني من نبيّك**» فتبيّن بُطلان رأي منكري التوسل، روى هذا الأثر الزبير بن بكار[3]. ويستأنس له أيضًا بما رواه الحاكم في المستدرك أنّ عمر رضي الله عنه خطب في الناس فقال: «أيها الناس، إنّ رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولدُ لوالده، يعظّمه ويفخمه ويبرّ قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ في عمّه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله عزّ وجلّ فيما نزل بكم»[4]. فهذا يوضح سبب توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما.

وقال الطبريّ في ترجمة عبد الله بن العباس رضي الله عنهما[5]: «(ذكر أنه كان

---

(١) الأربعون الكتانية في فضل ءال بيت خير البرية، محمد بن جعفر الكتّانيّ.

(٢) صحيح البخاريّ، كتاب الاستسقاء، باب: باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، (٢/ ٣٤)، رقم (١٠١٠).

(٣) فتح الباري، (٢/ ٤٩٧).

(٤) المستدرك على الصحيحين، (٣/ ٣٧٧)، رقم (٥٤٣٨).

(٥) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الطبريّ، (١/ ٢٣٣).

يقرئ جماعة من المهاجرين) منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف. وعن أبي رافع قال: كان ابن عباس خليطًا لعمر كأنه من أهله وكان يقرئه القرءان. خرَّجه أبو حاتم» اهـ.

وروى الطبريّ[1] وغيره: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يأذن لأهل بدر ويأذن لي معهم، فقال بعضهم: أتأذن لهذا الفتى وفي أبنائنا مَنْ هو مثله؟! فقال: فإنه مَنْ قد علمتم، فأذِنَ لهم يومًا وأذن لي معهم، فسألهم عن هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى ءاخرها، فقالوا: أمر الله نبيَّه إذا فتح عليه أن يستغفر وأن يتوب إليه. فقال لي: ما تقول يا ابن عباس؟ فقلت: ليس كذلك، ولكنه أخبر نبيَّه بحضور أجله فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ أي فذلك علامة موتك، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2]، فقال لهم: كيف تلوموني عليه بعد ما ترونه؟» اهـ.

وروى الطبريّ أيضًا[3]: «عن الحسن عليه رضوان الله قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وءال عمران فيفسرهما ءاية ءاية. وكان عمر رضي الله عنه إذا ذكره قال: ذاكم فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول» اهـ.

وروى كذلك[4]: «وعن عبد الله بن عبد الله قال: ما رأيت أحدًا كان أعلم بالسُّنَّة، ولا أجلد رأيًا، ولا أثقب نظرًا من ابن عباس، ولقد كان عمر رضي الله عنه يعدّه للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين.

وعن القاسم بن محمد قال: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلًا قطّ، وما

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ٢٢٨).
(٢) سورة النصر، الآية: ١-٣.
(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ٢٢٩).
(٤) المرجع نفسه، (١/ ٢٣٠).

سمعت فتوى أشبه بالسّنة من فتواه، وكان أصحابه يسمونه البحر ويسمونه الحبر. خرّج جميع ذلك كله أبو عمر» اهـ.

من محبة سيدنا عثمان للآل رضي الله عنهم جميعًا

ضرب عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلًا في منازعة استخف فيها بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه، فقيل له في ذلك فقال: نعم، أيُفخّم رسول الله ﷺ عمّه وأرخص في الاستخفاف به! لقد خالف رسول الله ﷺ من فعل ذلك ومن رضي به منه[1].

من محبة سيدنا عليّ لأبي بكر رضي الله عنهما

عن أبي سريحة رضي الله عنه قال: سمعت عليّا رضي الله عنه يقول على المنبر: «ألا إن أبا بكرٍ منيب القلب».

وعن قيس بن عبّاد قال: قال عليّ رضي الله عنه: «والّذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لو عهد لي رسول الله ﷺ عهدًا لجاهدت عليه لو لم أجد إلّا ردائي ولم أترك ابن أبي قحافة يصعد درجةً من منبره ﷺ ولكنّه ﷺ رأى موضعي وموضعه، فقال له قم فصلّ بالنّاس وتركني فرضينا به لدنيانا كما رضي به رسول الله ﷺ لديننا». أخرجه الدّارقطني.

نقل الحافظ اسماعيل بن عليّ بن الحسن بن زنجويه عن عبد خيرٍ قال: سمعت عليًّا يقول: «أعظم النّاس أجرًا في المصاحف أبو بكرٍ الصدّيق، هو أوّل من جمع بين اللّوحين»[2].

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٧٥).

(٢) الموافقة بين أهل البيت والصّحابة، اسماعيل بن عليّ بن الحسن بن زنجويه الرّازي السّمآن.

من محبة ابن عمر لسيدنا عليّ رضي الله عنهم جميعًا

وروى أبو يعلى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال[1]: «كنّا نقول على عهد الرسول: النبيُّ، ثم أبو بكر، ثم عمرُ، ولقد أُعْطِيَ عليُّ بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن يكون فيَّ واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمُرِ النَّعَم: تزوَّج فاطمة، وولدت له، وغَلَّقَ الأبوابَ غير بابه، ودفعَ الراية إليه يوم خيبر» اهـ.

من محبة واحترام السيدة عائشة رضي الله عنها لآل البيت

كانت عائشة راوية للكثير من أحاديث النبيّ ﷺ في فضائل ءال البيت. روى ابن حبّان عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت[2]: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها وقبّلها، ورحّب بها وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه، وكانت هي إذا دخل عليها، قامت إليه فقبّلته، وأخذت بيده، فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه، فأسرّ إليها، فبكت، ثم أسرّ إليها فضحكت، فقالت: كنت أحسب أن لهذه المرأة فضلًا على الناس، فإذا هي امرأة منهن، بينا هي تبكي إذا هي تضحك، فلما توفي رسول الله ﷺ، سألتها عن ذلك، فقالت: أسرّ إليّ أنه ميت، فبكيت، ثم أسرّ إليّ، فأخبرني أني أول أهله لحوقًا به، فضحكت» اهـ.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أيضًا[3]: «أنّ النبيَّ ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: «**يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين؟**» اهـ. فالسيدة فاطمة أفضل نساء العالمين بعد مريم رضي الله عنهما.

---

(١) مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، (٥/ ٢٣٨)، رقم (٥٦٠١).

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبّان، ذكر إخبار المصطفى فاطمة أنها أول لاحق به من أهله بعد وفاته، (١٥/ ٤٠٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين، (٣/ ١٧٠)، رقم (٤٧٤٠).

وعنها رضي الله عنها قالت[1]: «ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها» اهـ.

وعنها عليها رضوان الله تعالى، مرفوعًا[2]: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: معشر الخلائق، طأطئوا رؤوسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد، فتمر عليها ريطتان[3] خضراوان**» رواه الطبرانيّ والحاكم وأبو نُعيم.

وعن عمران بن حصين[4]: أنّ نبيّ الله ﷺ عاد فاطمة وهي مريضة فقال لها: «**كيف عيناك يا بنية؟ أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، قالت: فأين مريم بنت عمران؟ قال: تلك سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، والله لقد زَوَّجْتُكِ سيدًا في الدنيا والآخرة**» اهـ.

من مودة السّلف لآل البيت

وجاءت الوصية برعاية قرابة النبيّ ﷺ في القرءان الكريم، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5]، وقال عزّ من قائل ذاكرًا فضل ءال البيت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6]. وجاء حديث الكساء ليؤكد دخول فاطمة وعليّ والحسن والحسين رضي الله عنهم وزوجات النبيّ ﷺ في مفهوم ءال البيت.

قالت أمّ المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: خرج النبيّ ﷺ غداة وعليه مِرْط (أي كساء) مُرَحَّل (عليه تصاوير رحال الإبل) من شعر أسود، فجاء الحسن ابن عليّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) إتحاف السائل بما لفاطمة من فضائل، المناويّ، (١/ ٢).

(٢) المرجع نفسه، (١/ ١٠).

(٣) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، مختار الصحاح، الرازي، (٢٨٠).

(٤) إتحاف السائل بما لفاطمة من فضائل، (١/ ١٠).

(٥) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

﴿تَطۡهِيرٗا ﴾[1]، ومن الملاحظ أنّ أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها هي راوية هذا الحديث، ما يدلّ على تقديرها لأقارب النبيّ ﷺ ابنته وصهره وسبطيه رضي الله عنهم.

وجاء في صحيح مسلم[2]: «أنّ أحد التابعين سأل زيد بن أرقم رضي الله عنه أن يكثر من الحديث عن النبيّ ﷺ فقال له زيد: «يا ابن أخي، والله لقد كبرت سنيّ، وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: **«أما بعد، ألا أيّها النّاس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتيَ رسولُ ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنّور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»**. فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: **«وأهل بيتي، أذكّرُكُم الله في أهل بيتي، أذكّرُكُم الله في أهل بيتي، أذكّرُكُم الله في أهل بيتي»**، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: **«نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَن حُرِمَ الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ هم ءال عليّ وءال عقيل وءال جعفر وءال عبّاس، قال: كلّ هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم»** اهـ.

فهذا الحديث لم يقصر ءال البيت على بيت عليّ وبنيه، ولكنه يوسّع الدائرة ليشمل كلّ من لا تحل له الزكاة من أقرباء النبيّ ﷺ بعد وفاته، ثم نلاحظ أنّ هذا الحديث قد رواه زيد بعد طول العمر وطروء بعض النسيان، ولكن محبة ءال البيت ووصية النبيّ ﷺ في حقّهم بقيت ثابتة في ذاكرته، مما يدلك على تأصّل مكانة ءال البيت في فؤاده وأفئدة إخوانه من صحابة النبيّ ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، باب فضائل أهل بيت النبيّ ﷺ، (٧/ ١٣٠)، رقم (٦٤١٤).

(٢) المرجع نفسه، باب فضائل أهل بيت النبيّ ﷺ، (٧/ ١٢٢)، رقم (٦٣٧٨). مسند أحمد، (٤/ ٣٦٦)، رقم (١٩٢٨٥).

وروى أحمد في مسنده[1]: «عن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب أخي عبد الله قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر بن الخطاب، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبِحَ للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صُبَّ ماءٌ بدم الفرخيْنِ فأصاب عمر وفيه دم الفرخين، فأمر عمر بقلعه. ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنّه للموضع الذي وضعه النبيُّ ﷺ. فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس رضي الله تعالى عنه» اهـ.

ولقد صلّى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة، فَقُرِّبَتْ له بغلة ليركبها، فأخذ ابن عباس رضي الله عنه بركابه، فقال له: خلّ عنك يا بن عمّ الرسول، فقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبّل زيد يده وقال: هكذا أُمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا. رواه الهيتميّ[2].

روى ابن عساكر في تاريخه[3] عن مدرك بن عمارة قال: «رأيت ابن عباس ءاخذًا بركاب الحسن والحسين فقيل له: أتأخذ بركابها وأنت أسن منهما؟ فقال: إنّ هذين ابنا رسول الله ﷺ، أوليس من سعادتي أن ءاخذ بركابيهما؟

وقال أبو المهزّم: كنّا مع جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة، فجيء بجنازة رجل فجعله بينه وبين المرأة، فصلى عليها، فلما أقبلنا أعيا الحسين فقعد في الطريق، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه، فقال الحسين: يا أبا هريرة وأنت تفعل هذا؟! قال أبو هريرة: دعني، فوالله لو يعلم الناس منك ما أعلم، لحملوك على رقابهم» اهـ.

---

(١) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، (١/ ٢١٠)، رقم (١٧٩٠).

(٢) الصواعق المحرقة، (٢/ ٥٢٢).

(٣) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٢/ ٤٣٧).

قال الكتانيّ[1]: «وأخرج الخطيب أنّ أحمد بن حنبل كان إذا جاءه شيخ أو حَدَث من قريش أو الأشراف، قدّمه بين يديه، وخرج وراءه.

وكان أبو حنيفة يعظّمهم كثيرًا، ويتقرّب إلى الله بالإنفاق على المتسترين منهم والظاهرين، حتى قيل إنّه بعث مرّة إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم، وكان يحضّ أصحابه على ذلك.

وكان للشافعيّ فيهم اعتقاد كريم، ووداد سليم، وأما إمامنا مالك فتعظيمه لهم شديد، وحبه فيهم بالغ أكيد».

وروى يوسف بن إسماعيل النبهانيّ[2]: «أنّ أبا حنيفة النّعمان رضي الله عنه والى إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضوان الله عليهم، وأفتى الناس بلزوم وجودهم معه ومع أخيه محمد، وقيل: إنّ سجنه - أي أبي حنيفة - رضي الله عنه كان في الباطن لهذا السبب، وفي الظاهر لامتناعه عن القضاء، وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه والى إبراهيم بن زيد ابن عليّ زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم، وأفتى الناس بلزوم وجودهم معه، واختفى من أجله عدة سنين، وقيل إنّ الذي والاه مالك هو محمد أخو إبراهيم بن عبد الله المحض الذي والاه الإمام أبو حنيفة، وكان ولاء الإمام أحمد ابن حنبل لآل المصطفى ﷺ، أما الإمام الشافعيّ رضي الله عنه فقد حُمِلَ مكبّلًا بالقيود بسبب شدّة ولائه لآل الرسول ﷺ» اهـ.

وهكذا كانت علاقة المحبة والاحترام المتبادل بين الصحابة وءال بيت النبيّ ﷺ معبّرة عن تعاليم الإسلام الذي دعا إلى وحدة قلوب المؤمنين.

فتقدير علماء أهل السنّة لأئمة أهل البيت على مدى الزمن أمر لا جدال فيه، ويستمرّ ما دامت الشجرة النبوية النيّرة مستمرة، أبقاها الله تعالى للمسلمين ذخرًا إلى يوم الدين. ولقد رأينا ذلك التقدير في ثناء أهل العلم على أهل البيت

(١) الأربعون الكتانية في فضل ءال بيت خير البرية.
(٢) الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ، يوسف بن إسماعيل النبهانيّ.

ومشاهيرهم بعد عهد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

ففي حقّ زين العابدين عليّ بن الحسين[1] رضي الله عنهما، يقول سعيد بن المسيّب عالم المدينة الكبير رحمه الله وهو شيخ الزين: «ما رأيت قطّ أفضل من عليّ ابن الحسين عليهما السلام - أي في زمانه -، وما رأيته قطّ إلا مَقَتُّ[2] نفسي»[3]. وقد بلغ من خُلُقه وصلاحه أن جاءه رجل فقال له: إنّ فلانًا قد وقع فيك بحضوري، فقال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلته فيَّ حقًّا فأنا أسأل الله أن يغفر لي وإن كان ما قلت فيّ باطلًا فالله تعالى يغفره لك، ثم ولى عنه[4].

ومَنْ مِنّا ينسى قصيدة الفرزدق في زين العابدين عليّ بن الحسين رضي الله عنه، والفرزدق في هذه القصيدة يمثّل المحبة الصادقة في التعلّق بآل البيت الكرام، قال الشعبيّ: «حجّ الفرزدق بعدما كبر، وقد أتت له سبعون سنة، وكان هشام بن عبد الملك قد حجّ في ذلك العام، فرأى عليَّ بنَ الحسين رضي الله عنه في غمار الناس في الطواف، فقال: مَن هذا الشابّ الذي تبرق أسرّة وجهه كأنّه مرءاة صينية تتراءى فيها عذارى الحيّ وجوهها؟ فقالوا: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال الفرزدق[5]:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأته	والبيتُ يعرفُهُ والحِـلُّ والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلّهم	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

---

(١) عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، الملقب بزين العابدين، ت٩٤هـ. أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: «عليّ الأصغر» للتمييز بينه وبين أخيه «عليّ الأكبر»، الذي توفي مع والده في كربلاء. الأعلام، الزركلي (٤/ ٢٧٧). طبقات ابن سعد، (٥/ ١٥٦).

(٢) أي استصغرت نفسي تواضعًا، هو قالها تواضعًا.

(٣) تاريخ اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب، (١/ ٢٣٢).

(٤) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٢٨١).

(٥) المرجع نفسه، (ص/ ٢٨٤).

هذا ابن فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ بجدِّهِ أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا

وهي قصيدة طويلة جميلة تتضمّن مدح النبيّ الأعظم ﷺ وصحابته وءال بيته الكرام.

ويقول أهل السّنة عن ولده محمد الباقر رضي الله عنه: «محمد الباقر بن عليّ ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ولد سنة ست وخمسين من الهجرة، وروى عن أبي سعيد الخدريّ وجابر وعدة، وكان من فقهاء المدينة. وقيل له: الباقر لأنه بقر العلم أي شقّه وعرف أصله وخفيه وتوسع فيه. قال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علمًا عنده. وله كلام نافع في الحكم والمواعظ».

وقال اليافعيّ عن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: «وفيها – أي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة – توفي الإمام السيد الجليل سلالة النبوّة ومعدن الفتوة أبو عبد الله جعفر الصادق بن أبي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين عليّ بن الحسين الهاشميّ العلويّ، وأمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، فهو علويّ الأب بكريّ الأم، ولد سنة ثمانين في المدينة الشريفة، وفيها توفي ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمّد الباقر وجدّه زين العابدين وعمّ جدّه الحسن بن عليّ رضوان الله عليهم أجمعين، وأكرم بذلك القبر وما جمع من الأشراف الكرام أولي المناقب، وإنما لقب بالصادق لصدقه في مقالته، وله كلام نفيس في علوم التوحيد وغيرها».

وقال فيه العسقلانيّ: «جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشميّ العلويّ، أبو عبد الله المدنيّ الصادق، وأمّه أمّ فروة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر فلذلك كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين. روى عن أبيه ومحمد بن المنكدر وعبيد الله بن أبي رافع وعطاء وعروة وجدّه لأمه القاسم بن محمد ونافع والزهريّ ومسلم وابن أبي مريم. وعنه شعبة والسفيانان ومالك وابن جريج وأبو حنيفة وابنه موسى ووهيب بن خالد والقطان وأبو عاصم وخلق كثير».

وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه، وكان أحد معاصريه: «اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مُصَلّ، وإما صائم، وإما يقرأ القرءان. وما رأيته يحدّث إلا على طهارة».

كلّ هذا يدلّنا على عميق محبة أهل السنة والجماعة لآل بيت النبيّ ﷺ، هذه المحبة التي ما تزال ماثلة في قلوبهم، وفي سلوكهم وأشعارهم وأناشيدهم.

من محبة ءال البيت للصحابة رضي الله عنهم جميعًا

عندما ننظر في سموّ العلاقة بين الصحب الأعلام والآل الكرام رضوان الله عليهم نرى ما يثلج الصدر ويسرّ النفس.

سئل عليّ بن أبي طالب عن عثمان فقال: ذاك امرؤ يُدعى في الملأ الأعلى ذا النورين، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقد سئل عن أبي بكر فقال: «كان رحمه الله للقرءان تاليًا وللشّر قاليًا وعن المنكر ناهيًا وبالمعروف ءامرًا وإليه صابرًا وعن الميل إلى الفحشاء ساهيًا وبالليل قائمًا وبالنهار صائمًا وبدين الله عارفًا ومن الله خائفًا وعن المحارم جانبًا وعن الموبقات صارفًا، فاق أصحابه ورعًا وقناعة وزاد برًا وأمانة، فعقَّب الله من طعن عليه الشّقاق إلى يوم التلاق، قيل: ما كان نقش خاتمه حين ولي الأمر؟، قال: نقش عليه: «عبد ذليل لربّ جليل».

قيل له: فما تقول في عمر؟ قال: رحمة الله على أبي حفص كان والله حليف الإسلام ومأوى الأيتام ومحل الإيمان ومنتهى الإحسان ونادي الضعفاء ومعقل الحلفاء كان للحقّ حصنًا وللنّاس عونًا قام بحقّ الله صابرًا محتسبًا حتى أظهر الدين وفتح الديار وذكر الله عز وجلّ على التلال والبقاع، وقورًا لله في الرّخاء والشّدة شكورًا له في كل وقت، فأعقب الله من يبغضه النّدامة إلى يوم القيامة.

---

(١) فوائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٦٤).

قيل: فما نقش خاتمه حين ولي الأمر؟ قال: نقش عليه: «الله المعين لمن صبر».

قيل: فما تقول في عثمان؟ قال: رحمة الله على أبي عمرو، كان والله أفضل البررة وأكرم الحفدة كثير الاستغفار هجّادًا بالأسحار سريع الدموع عند ذكر النار دائم الفكر فيما يعنيه بالليل والنهار، مبادرًا إلى كل مكرمة وساعيًا إلى كل مُنْجِيَة فرّارًا من كل مُهلكة وفيًا تقيًا حفيًا مجهز جيش العسرة وصاحب بئر رومة وختن المصطفى ﷺ فأعقب الله من قتله البِعاد إلى يوم التناد. قيل: فما نقش خاتمه حين ولي الأمر؟ قال: نقش عليه: «اللّهم أحيني سعيدًا وأمتني شهيدًا» فوالله لقد عاش سعيدًا ومات شهيدًا.

قيل: فما تقول في عليّ؟ قال: رحمة الله على أبي الحسن، كان والله علم الهدى وكهف التّقى وطود النّهى ومحل الحِجى ويمن النّدى ومنتهى العلم للورى ونورًا أسفر في ظلم الدجى وداعيًا إلى الحجّة العظمى مستمسكًا بالعروة الوثقى أتقى من تقمص[1] وارتدى وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى وصاحب القبلتين وأبا السبطين وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد لم تر عيناي مثله ولم أسمع بمثله في الحرب خيالًا وللأقران قتّالا وللأبطال شغّالا فعلى من يبغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد. قيل: فما نقش خاتمه حين ولي الامر؟ قال: نُقش عليه «الله الملِك»[2].

وأورد الهيتميّ: «أنّ الدارقطنيّ أخرج عن عبد الله الملقب بالـمَـحْض، وقد لُقّب به لأنه أول من جمع ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهم، وكان شيخ بني هاشم ورئيسهم وولده كان يلقب بالنفس الزكية، وكان من أئمة الدين بويع بالخلافة زمن الإمام مالك بن أنس بالمدينة فأرسل المنصور جيشًا فقتلوه، أنه سُئل: أتمسحُ على الخفين؟ فقال: امسح فقد مسح عمر. فقال له السائل: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذلك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي؟

---

(١) أي لبس القميص.

(٢) الرياض النضرة، (١/ ٢٦١ - ٢٦٣). وانظر ناسخ التواريخن كتاب (٢، ٥/ ١٤٣ - ١٤٤).

فعمر خير مني وملء الأرض مثلي. فقيل له: هذا تقية؟ فقال: ونحن بين القبر والمنبر، اللهم! هذا قولي في السر والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليًّا كان مقهورًا، وأن النبيَّ أمره بأمر فلم ينفّذه، فكفى بهذا إزراء ومنقصة له» اهـ.

وقال ابن سعد: «إنّ عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت حسين بن عليّ بن أبي طالب، نقل عنه محمّد بن عمر، قال: أخبرني حفص بن عمر مولى عبد الله بن حسن قال: رأيت عبد الله بن حسن توضأ ومسح على خفيه، فقلت له: تمسح؟ قال: نعم، وقد مسح سيدنا عمر، ومن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق»[1] اهـ.

وروى البزّار[2] عن أسير بن صفوان صاحب رسول الله ﷺ قال: «لما توفي أبو بكر رضي الله عنه، سجّوه بثوب فارتجت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قبض الرسول ﷺ وجاء عليّ بن أبي طالب مسرعًا مسترجعًا وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوّة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله أبا بكر، كنت أول القوم إسلامًا، وأخلصَهم إيمانًا، وأشدَّهم يقينًا، وأخوفَهم لله، وأعظمَهم غناءً، وأحوطَهم على رسوله، وأحدبَهم على الإسلام، وءامنَهم على أصحابه، وأحسنَهم صحبة، وأفضلَهم مناقب، وأكثَرهم سوابق، وأرفعَهم درجة، وأقربَهم من رسوله، وأشبههم به هديًا وخلقًا وسمتًا، وأوثقَهم عنده، وأشرفَهم منزلة، وأكرمَهم عليه، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرًا، صدَّقتَ رسول الله ﷺ حين كذّبه الناس فسمّاك في كتابه صِدّيقًا فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ محمدٌ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾[3] أبو بكر، وءاسيته حين بخلوا، وقمت معه حين عنه قعدوا، وصحبته في الشّدة أكرم الصّحبة، والمنزّل عليه السكينة

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (٩/ ٢٥٣).
(٢) مسند البزّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، (٣/ ١٣٨)، (١٤٠)، رقم (٩٢٨).
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

رفيقَهُ في الهجرة ومواطن الكربة، خلَفته في أمته بأحسن الخلافة حين ارتدّ الناس، وقمت بدين الله قيامًا لم يقمه خليفة نبيّ قط، قَوِيتَ حين ضعف أصحابك، ونهضت حين وهنوا، ولزمت مناهج رسوله برغم المنافقين وغيظ الكافرين، وقمت بالأمر حين فشلوا بنور الله إذ وقفوا كنت أعلاهم فوقًا وأقلّهم كلامًا، وأصوبَهم منطقًا، وأطولَهم صمتًا، وأبلغَهم قولًا، وكنت أكبرَهم رأيًا، وأشجعَهم قلبًا، وأشدَّهم يقينًا، وأحسنَهم عملًا، وأعرفَهم بالأمور، كنت للدين يعسوبًا[1]، وكنت للمؤمنين أبًا رحيمًا إذا صاروا عليك عيالًا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وصبرت إذ جزعوا فأدركت ءاثار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابًا صبًّا، وللمسلمين غيثًا وخصبًا، فُطِرْتَ بِغِناها، وفِزْتَ بحباها، وذهبت بفضائلها، وأحرزت سوابقها، لم تقلُلْ حجتُّك، ولم يَزِغْ قلبُك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك. كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف. كنت كما قال رسول الله ﷺ «أَمَنُّ الناسِ عليه في صحبتك وذات يدك»، وكما قال: «ضعيفًا في بدنك، قويًّا في أمر الله، متواضعًا عظيمًا عند المسلمين، جليلًا في الأرض»، لم يكن لأحد فيك مَهْمَز، ولا لقائل فيك مَغْمَز، ولا فيك مطمع، ولا عندك هوادة لأحد، الضعيف الذليل عندك قويّ حتى تأخذ له بحقّه، القويّ العزيز عندك ذليل ضعيف حتى يؤخذ منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء. شأنُك الحقُّ والصدق والرفق قولُك، وقد نُهِجَ السبيل واعتدلَ بك الدين، وقوي الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون. فسبقت والله سبقًا بعيدًا وأتعبت مَن بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالجنة وعظمت رزيتك في السماء، وهزت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره، فلن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدّين عدّة وكهفًا، وللمسلمين حصنًا وفئةً وأُنسًا، وعلى المنافقين غلظة وغيظًا، فألحقك الله بنبيك، ولا حرمنا الله أجرك، ولا

---

(١) اليعسوب: ملك النحل. انظر مختار الصحاح، الرازي، (ص/ ٤٣٣).

ـلّنا بعدك، قال: وسكت الناس حتى قضى كلامه ثم بكى أصحاب رسول الله
ﷺ وقالوا: صدقت يا ابن عم رسول الله ﷺ» اهـ.

قال عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت الأسبق في كتابه «خبايا الدراية»[1]:
ن عند عليّ أمير المؤمنين رضي الله عنه رجل من رؤساء العرب، ومن شيعته
عسكره قال: يا أمير المؤمنين إنّي لأعجب غاية العجب. قال: مم؟ قال: لما كان
بو بكر خليفة كان الإسلام والجهاد متسعًا، إلى أن تولى عمر بن الخطاب فكثر
تساع الإسلام وفتح البلاد وقويت شوكة المسلمين في جميع أقطار الأرض، إلى
ن تولى عثمان بن عفان والأمر كذلك، والراحة موجودة، فلما وليت الخلافة كثر
الفساد والفتن. قال عليّ: فهل تعرف لذلك سببًا؟ قال: لا. قال: أنا أخبرك عن
السبب، لما توفي رسول الله ﷺ، وتولى الخلافة أبو بكر، كان وزراؤه عمر وعثمان
وعليّ بن أبي طالب، فلما توفي أبو بكر، وتولى عمر بن الخطاب، كان وزيراه عثمان
وعليّ بن أبي طالب، فلما توفي عثمان بن عفان، ووليت الخلافة كنت أنت وأمثالك
وزراء، فمن سبب ذلك نشأ الفساد والفتن[2].

وها هو يشير على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في أمر خروجه مع الجيش لمواجهة الفرس، فينصحه بعدم الخروج قائلًا: «إنك إن تسر إلى هذا العدوّ بنفسك، فتلقهم فَتُنْكَبَ، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلًا مِحْرَبًا[3] واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحبّ، وإن تكن الأخرى كنت ردءًا للناس ومثابة للمسلمين» اهـ.

وقد عمل عمر بنصيحة عليّ رضي الله عنهما، لأنه كان يقرّ بفضله ورجاحة عقله،

---

(١) مخطوط لم يطبع بعد.
(٢) مخطوط خبايا الدراية، الفاخوري، (ص/ ٢١٢).
(٣) أي الرجل العليم بالحرب.

وكان يقول: «لولا عليّ لهلك عمر»[1]، ولذلك كان يكثر من استشارته استصوابًا لرأيه.

وقد كان عليٌّ رضي الله عنه بالمقابل يقرّ أيضًا بفضل عمر عليه رضوان الله تعالى، ولذلك جاء في بعض الرّوايات أنه: «لمّا غُسّل عمر وكُفّن، دخل عليّ عليه السلام فقال: ما على الأرض أحد أحبّ إليَّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى بين أظهركم»[2] اهـ.

ويشهد لهذه الرواية ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما الذي يروي حادثة موت عمر عليه رضوان الله تعالى، فيقول: «وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل ءاخذ منكبي، فإذا عليّ، فترحّم على عمر وقال: ما خلّفتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرًا أسمع النبيّ ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»[3] اهـ.

أخرج الدينوري في المجالسة وابن عساكر عن الشعبي قال: خص الله تبارك وتعالى أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدًا من الناس: سماه الصديق ولم يُسمّ أحدًا الصديق غيره، وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ، ورفيقه في الهجرة، وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود[4]. وقال عمر: «ما سابقت أبا

---

(١) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، المعافريّ الإشبيلّي، (١/ ٢٠٢). وقد قالها عمر لغيره أيضًا من فقهاء وعلماء الصحابة، كمعاذ بن جبل، ففي سنن البيهقيّ، (٧/ ٤٤٣): «لولا معاذ لهلك عمر» اهـ.

(٢) معاني الأخبار، ابن بابويه القميّ، (ص١١٧). تلخيص الشافي، الطوسّي، (٢/ ٤٢٨).

(٣) صحيح البخاريّ، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشيّ العدويّ رضي الله عنه، (٥/ ١٢)، رقم (٣٦٨٥).

(٤) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٠).

بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه[1]».

وعن عليّ رضي الله عنه وقد قيل له- لما أصيب-: ألا تستخلف؟ قال: لا أستخلف، ولكني أترككم كما تركنا رسول الله ﷺ، دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله ﷺ ألا تستخلف؟ فقال: «**إن يعلم الله فيكم خيرًا استعمل عليكم خيركم**» فعلم الله فينا خيرًا فاستعمل علينا أبا بكر[2] اهـ. ولم يورّث أبا بكر لأهله بعد موته وهو التاجر الثري قبل خلافته الباذل في أوجه الخير الذي تصدق بماله كله فلم يبق لأهله في حياة الرسول إلا حب الله والرسول وكذا الحال بعد موته، فعن عائشة أن أبا بكر قال لها: يا عائشة، ما عندي من مال إلا لقحة وقدح، فإذا أنا مت فاذهبوا بهما إلى عمر، فلما مات ذهبوا بهما إلى عمر، فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده[3].

وورد عن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: لما قُبض النبي ﷺ نظرنا في أمرنا فوجدنا النبيّ ﷺ قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر[4]. ومثله عن عمر بن الخطاب قال: أبو بكر سيّدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ. رواه الترمذي والحاكم[5]، فكل هذا يدلّ على عدم اختلافهم وعدم تفرق كلمتهم رضوان الله عليهم.

ولما مرض رسول الله ﷺ واشتد وجعه قال: «**مروا أبا بكر فليصلّ بالناس**»، قالت عائشة: يا رسول الله ﷺ إنّ أبا بكر رجل رقيق وإنّه إذا قام مقامك لم يكد يسمع الناس، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف**[6]».

ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه متمسكًا بالمناصب أو طالبًا لها، فلقد قال أبو

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ١٩).

(٢) الرياض النضرة، (٢/ ٣٠).

(٣) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٠).

(٤) المرجع نفسه، (ص/ ١٩).

(٥) المرجع نفسه، (ص/ ٢٠).

(٦) المرجع نفسه، (ص/ ١٩).

بكر رضي الله عنه عند قبوله الخلافة: والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قطّ، ولا كنت فيها راغبًا، ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، ولكني قُلّدت أمرًا عظيمًا ما لي به طاقة ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددت أن أقوى الناس عليها مكاني اليوم[1].

ولما فرغ المسلمون من بيعة أبي بكر رضي الله عنه، كلّمه رجال من المهاجرين والأنصار أن يمسك أسامة وبعثه، فقال: أنا أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم! والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشًا بعثه رسول الله ﷺ! امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرت به، ثم اغز حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب فاستشره واستعن به فإنه ذو رأي ومناصح للإسلام فافعل، ففعل أسامة[2].

وعن سويد بن غفلة قال: لما بايع الناس أبا بكر قام خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أذكر بالله أيما رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، قال فقام فينا علي بن أبي طالب ومعه سيفه فدنا منه حتى وضع رجلًا على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك قدَّمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك[3].

ولم يكن أبو بكر متحكّمًا مستبدًا برأيه ولم يترك مشاورة إخوانه لا في بدء أمره ولا في ءاخره، فعن يحيى بن عمرو عن أبيه عن جدّه قال لما امتنع من امتنع من دفع الزكاة إلى أبي بكر جمع أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ فشاورهم في أمرهم فاختلفوا عليه فقال لعليّ: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أقول لك إن تركت شيئًا مما أخذه رسول الله ﷺ منهم فأنت على خلاف سنة رسول الله ﷺ. قال: أما لئن

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٣١).
(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٣٢).
(٣) الرياض النضرة، (٢/ ٢٣٠).

قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالًا[1]. هكذا كان الصحابة والآل متناصحين متحابين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وهذا كان حال ثاني الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين فقد قال عمر لأبي بكر: استخلف غيري، قال: ما حبوناك بها، إنما حبوناها بك[2]. لما مرض أبو بكر استشار أصحابه في عمر فقال عثمان: اللّهم علمي به أنّ سريرته خير من علانيته، وأن ليس فينا مثله[3]. وقال طلحة بن عبيد الله: ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلامًا ولا أقدمنا هجرة ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة[4].

قال رجل لسيدنا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: نسمعك تقول في الخطبة: اللّهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه فقال: هما حبيباي أبو بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اقتدى بهما عُصم، ومن اتبع ءاثارهما هُدي الصراط المستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. وفي رواية أنه زاد وحزب الله هم المفلحون[5].

وهذا حال سيّدنا عليّ مع الخليفة عثمان بن عفان ناصحًا شفوقًا، أخرج أحمد عن شدّاد بن أوس قال: لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدّار أشرف على الناس فقال: يا عباد الله، قال فرأيت عليّ بن أبي طالب خارجًا من منزله معتمًا بعمامة رسول الله ﷺ متقلدًا سيفه أمامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم، ثم دخلوا على عثمان فقال له عليّ: السلام عليك

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (٢/ ٢٥).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٣٠).

(٣) المرجع نفسه، (ص/ ١٠٦).

(٤) المرجع نفسه، (ص/ ١٠٦).

(٥) المرجع نفسه، (ص/ ٣٢٩).

يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر، وإنّي والله لا أرى القوم إلا قاتليك، فمرنا فلنقاتل، فقال عثمان: أنشد الله رجلًا رأى لله حقًا وأقر أنّ لي عليه حقًا أن يهريق دمه في سببي حجمة من دم، أو يهريق دمه فيّ[1]. فتأمل أيها القارئ الكريم كيف كان أحدهم يحرص على الآخر نصحًا وذودًا.

ودخل الحسن بن عليّ على عثمان وهو محصور فقال: يا أمير المؤمنين مُرني بما شئت، فقال عثمان: يا بن أخي ارجع فاجلس حتى يأتي الله بأمره[2].

ولم يترك عثمان النّصح حتى في حصاره وهو الحريص على إرشاد الناس وتوبتهم من المظالم فقد ورد أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف من الدار وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد من رسول الله ﷺ يوم حراء إذ اهتز الجبل فركله بقدمه ثم قال: «**اسكن حراء ليس عليك إلّا نبيّ أو صدّيق أو شهيد**» وأنا معه. فانتشد له رجال.

فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثني إلى المشركين من أهل مكة قال: «**هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع**» فانتشد له رجال.

فقال: أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال: «**من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد ببيت له في الجنة؟**» فابتعته من مالي، فوسّعت به المسجد؟، فانتشد له رجال.

وقال: وأنشد بالله من شهد من رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال: «**من ينفق اليوم نفقة متقبلة؟**» فجهزت نصف الجيش من مالي؟، فانتشد له رجال.

قال: وأنشد بالله من شهد رومة يباع ماؤها ابن السبيل فابتعتها من مالي فأبحتها ابن السبيل؟ فانتشد له رجال[3].

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (٣٠٧).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٣٠٨).

(٣) صفة الصفوة، (١/ ٣٠٠) ونحو ذلك في أسد الغابة، (٣/ ٥٨٣). فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٨٦).

وأشرف عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور من الخوخة التي تلي باب مقام جبريل فقال: «أيّها النّاس أفيكم طلحة؟ فسكتوا ثم قال: أيّها الناس أفيكم طلحة بن عبيد الله؟ فسكتوا، ثم قال: أيّها الناس أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك ههنا؟ ما كنت أرى أنك تكون في جماعة قوم تسمع ندائي ءاخر ثلاث مرات، ثم لا تجبني؟ أنشدك الله يا طلحة تذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك؟ فقال: نعم، قال: فقال لك رسول الله ﷺ: «**إنّه ما من نبيّ إلّا ومعه من أصحابه رفيق في الجنّة وإنّ عثمان بن عفان رفيقي في الجنّة؟**» فقال طلحة: اللّهم نعم[1].

وقال عثمان رضي الله عنه: علام تقتلوني؟ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمدًا فعليه القَود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل**»، فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحدًا فأقيد نفسي به، ولا ارتددت منذ أسلمت، إنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله[2]. ولكن براثن الفتنة كانت أعمت قلوب الغادرين من أهل مصر الذين قدموا وحاصروا عثمان فاستمروا في غيّهم فأغرقتهم أخطاؤهم في دماء الأولياء الصالحين رغم نصح أمير المؤمنين لهم وإقامة الحجّة عليهم، وليسوا هم من نذب عنهم ونذود عن حماهم بل عن الخلفاء الراشدين والآل الأنجاب. الذين قال فيهم سيّدنا عليّ كرم الله وجهه: والله لقد رأيت أصحاب محمّد صلى الله عليه وءاله وسلم فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا سجّدًا قيامًا يتلون كتاب الله تعالى، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله عز وجل، مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٨٩-٢٩٠).
(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٢٩٠-٢٩١).

لكأن القوم باتوا غافلين[1]. وعن عليّ كرم الله وجهه أيضا أنه قال: قدّم رسول الله ﷺ أبا بكر فصلّى بالنّاس وإنّي لشاهد غير غائب وإنّي لصحيحٌ غير مريض ولو شاء أن يقدّمني لقدّمني، فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله لديننا[2].

وقد ورد عن عليّ أنه قال: إنّ الله جعل أبا بكر وعمر حجّة على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة، فسبقا سبقًا بعيدًا، وأتعبا والله من بعدهما إتعابًا شديدًا، فذكرهما حزن للأمة وطعن على الأئمة[3].

وقد ثبت عن عليّ كرم الله وجهه أنّه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إقامته فقال: أيّها النّاس إنّ خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت، وقال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان[4]. هذا ولا ننسى اعتقادنا وهو أنّ الحقّ يجري على لسان عليّ فهو المهدي قلبه المثبت لسانه، فقد قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله ﷺ بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده ثم قال: «اللّهمّ اهدِ قلبه وثبّت لسانه» فوالذي فلق الحبّة ما شككت في قضاء بين اثنين[5].

وخطب كرم الله وجهه في أول الفتنة فقال: إنّ الله أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخوانًا بعد ذلّة وقلّة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم، والحقّ قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل - يعني عثمان- بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإنّ هذه الأمّة لا بدّ مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن، إنّه لا بدّ مما هو كائن أن يكون، ألا وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٣٥٩-٣٦٠).
(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٣٩٣).
(٣) المرجع نفسه، (ص/ ٣٩٤).
(٤) المرجع نفسه، (ص/ ٤٢٣).
(٥) المرجع نفسه، (ص/ ٣١٥).

وسبعين فرقة، وشرّها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم، فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي فإنّه هدي نبيّكم، واتبعوا سنّته، وأعرضوا عما أشكل عليكم، حتى تعرضوه على الكتاب، فما عرفه القرءان فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرءان حكمًا وإمامًا[1].

ومع اشتداد الفتنة اجتمع الناس فكلموا عليًّا كرم الله وجهه، فدخل على عثمان رضي الله عنه فأوصاه فقال له: الناس ورائي وقد كلموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك، ولا أعرف شيئا تجهله ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما أعلم، ما سبقناك إلى شىء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشىء فنبلّغكه، وما خُصّصنا بأمر دونك، وقد رأيت وصحبت رسول الله ﷺ وسمعت منه ونلت صهره وما ابن أبي قحافة بأولى بالعمل منك بالحقّ ولا ابن الخطاب بأولى من الخير منك وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحمًا ولقد نلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم ينالاه، وما سبقناك إلى شىء. فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهالة، وإنّ الطريق لواضح بيّن وإنّ أعلام الدّين لقائمة، اعلم يا عثمان أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُدي وهَدى، فأقام سنّة معلومة وأمات بدعة متروكة، فوالله إنّ كُلًّا لبيّن وإنّ السنن لقائمة لها أعلام وإنّ البدع لقائمة لها أعلام وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وأضلّ فأمات سنّة معلومة وأحيا بدعة متروكة، وإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم فيدور في جهنم كما تدور الرّحى ثم يرتطم في غمرة جهنم**»، وإنّي أحذرك الله وسطواته ونقماته، فإنّ عذابه شديد أليم وأحذرك أن تكون إمام هذه الأمّة الذي يقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ويلبس أمورها عليها ويتركها شيعًا لا يبصرون الحقّ لعلو الباطل يموجون فيها موجًا ويمرجون فيها مرجًا[2] اهـ.

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٤٢٤).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ٤٦٧).

وعن الحسن البصري قال: لما قدم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة في أثر طلحة والزبير يريد قتالهما قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له: ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تستولي على الأمر وتضرب الناس بعضهم ببعض؟ أَعَهْدٌ من رسول الله ﷺ عهده إليك؟ حدثنا به، فأنت الموثوق والمأمون على ما سمعت. فقال: أما أن يكون عندي من النبيّ ﷺ عهد في ذلك فلا، والله لئن كنت أول من صدَّقه به لا أكون من كذب عليه، ولو كان عندي من النبيّ ﷺ عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما بيدي، ولو لم أجد إلا بردتي هذه، ولكن رسول الله ﷺ لم يُقتل قتلًا ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه صرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: «**أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس**»، فلما قبض الله نبيه ﷺ نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا، وكانت الصلاة عظم الإسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر، فكان لذلك أهلًا لم يختلف عليه منا اثنان، فأدّيت إلى أبي بكر حقّه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت ءاخذ إذا أعطاني وأغزو إذا غزا بي وأضرب بين يديه بالحدود بسوطي، فلما قُبِض ولاها عمر ابن الخطاب فأخذ بسنّة صاحبه وما يعرف من أمره، فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان، فأديت إلى عمر حقّه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت ءاخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه بالحدود بسوطي فلما قُبِض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظنّ أن لن يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبًا إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة منه لآثر ولده، وبرئ منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وأنا أظنّ أن لن يعدلوا بي فأخذ عبد الرّحمن مواثيق عليَّ أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله

عز وجل أمرنا ثم أخذ بيد عثمان فضرب يده على يده فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أُخذ لغيري فبايعنا عثمان فأديت إلى عثمان حقّه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت ءاخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه بسوطي فلما أصيب عثمان نظرت في أمري فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله ﷺ إليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أُخذ له ميثاقي قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين. وفي رواية زيادة «ثم إنّ معاوية بن أبي سفيان جاء يضربني بأهل الشام فكنت والله أحقّ بها منه والله لو أنّ أبا بكر حيث بويع نازعوه لقاتل ولو أنّ عمر حين بويع نوزع لقاتل»، فقال له: صدقت والله يا أبا الحسن وبررت واحتججت وكنت أحقّ بها منه. وفي رواية أنّهما قالا له: أخبرنا عن قتالك هذين الرجلين يعنيان طلحة والزبير وهما صاحباك في الهجرة وفي بيعة الرّضوان وفي الشورى؟ قال: بايعاني في المدينة وخلعاني بالبصرة ولو أنّ رجلًا بايع أبا بكر ثم خلعه قاتلناه ألا ولو أنّ رجلًا بايع عمر ثم خلعه قاتلناه[1]. اهـ صدق رسول الله ﷺ فإنّ الحقّ مع عليّ كيفما دار دار معه، رزقنا الله قلوبًا منوّرة وإياكم، ءامين.

من الكتب التي ذكرت مديحًا للصحابة

فهذا سيدنا عليّ رضي الله عنه يذكر أقرانه من صحابة النبيّ ﷺ، فيذكر فضائلهم، وكلّه شوق إلى زمانهم:

عن أبي جعفر قال: «صلّى أميرُ المؤمنين رضي الله عنه بالناس الصبحَ بالعراق، فلمّا انصرف وَعَظَهم فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عَهدتُ أقوامًا على عهد خليلي رسول الله ﷺ، وإنّهم ليُصبحون ويُمسون شعْثًا غُبرًا خُمُصًا، بين أعينهم كَرُكَبِ المِعزى، يبيتون لربهم سُجّدًا وقيامًا، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربّهم ويسألونه فَكَاكَ رقابهم من النار، والله، لقد رأيتهم مع

---

(١) الرياض النضرة، (١/ ٢٩٠-٢٩٣).

هذا وهم خائفون مشفقون»[1] اهـ.

وكان الإمام عليّ رضي الله عنه يأمر أتباعه بأن يقتدوا بالمهاجرين والأنصار في دفاعهم عن النبيّ ﷺ ودعوته:

«أما بعد أيّها النّاس، فوالله لأهل مِصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله ﷺ أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلّغ رسالات ربّه إلّا قبيلتين صغير مولدهما، وما هما بأقدم العرب ميلادًا، ولا بأكثرهم عددًا، فلما ءاووا النبيّ ﷺ وأصحابه، ونصروا الله ودينَه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجرّدوا لنصرة دين الله، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزْن والسهل وأقاموا قناة الدين، وتصبّروا تحت أحلاس الجِلاد حتى دانت لرسول الله ﷺ العرب، ورأى فيهم قرّة العين قبل أن يقبضه الله إليه، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب»[2] اهـ.

ويروي المجلسيّ عن الطوسيّ رواية موثقة عن الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّه قال لأصحابه: «أوصيكم في أصحاب رسول الله ﷺ، لا تسبوهم، فإنّهم أصحاب نبيّكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئًا، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم، أوصاني رسول الله ﷺ في هؤلاء»[3] اهـ.

وهذا الإمام زين العابدين يخصّ في دعائه صحابة النبيّ ﷺ وتابعيهم بالدعاء، فيقول في صحيفته السجادية، داعيًا لهم مقرًّا بفضلهم: «اللهمّ وأصحابَ محمّد خاصّة، الذين أحسنوا الصّحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في

(١) أصول الكافي، محمد بن يعقوب، كتاب الإيمان والكفر، باب المؤمن علاماته وصفاته، (٢/ ٢٣٦).

(٢) الغارات، الثقفيّ الأصبهانّي، (٢/ ٤٧٩ – ٤٨٠).

(٣) حياة القلوب، المجلسّي، (٢/ ٦٢١).

نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظلّ قرابته، اللّهم ما تركوا لك وفيك، وأرضِهِم من رضوانك وبما حاشوا الحقّ عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك. واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، اللّهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[1] خير جزائك، الذين قصدوا سَمْتَهم، وتحرَّوا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم»[2] اهـ.

وقد أقرّت بعض الروايات بصدق أصحاب النبيّ ﷺ: فعن منصور ابن حازم قال: قلت لأبي عبد الله الحسين رضي الله عنه: «فأخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ صدقوا على محمّد ﷺ أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا. قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أنّ الرجل كان يأتي رسولَ الله ﷺ فيسأله عن المسئلة فيجيبه فيها بالجواب، ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضُها بعضًا»[3] اهـ.

ومن الروايات المبيّنة لفضل الصحابة هذه الرواية: «عن أبي عبد الله قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفًا[4]، ثمانية ءالاف في المدينة، وألفان من

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين، الدعاء الرابع، (ص/ ١٣).

(٣) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، (١/ ١١٨).

(٤) عدد الصحابة الذين ذكرته الرواية غير صحيح، فإن الصحابة الذين شهدوا معه حنينًا كانوا اثني عشر ألفًا، سوى الأتباع والنساء، ثم جاءت هوازن مسلمين، قال أبو زرعة: توفّي النبيّ ﷺ ومن رءاه وسمع منه زيادة عن مائة ألف إنسان من رجل وامرأة. (تدريب الراوي، ٢/ ٢٢١. الإصابة، ١/ ٤) وإن كان هؤلاء الصحابة متفاوتين من حيث القرب والمواظبة على الصحبة.

أهل مكة، وألفان من الطلقاء، لم يرد فيهم قدريّ، ولا مرجئ، ولا حروريّ، ولا معتزليّ، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار»[1] اهـ.

وفي بحار الأنوار بشارة للتابعين لأنّهم رأوا الصحابة، ولتابعي التابعين، لأنّهم رأوا من رءاهم، قال النبيّ ﷺ: «**طوبى لمن رءاني، وطوبى لمن رأى من رءاني، وطوبى لمن رأى من رأى من رءاني**»[2] اهـ.

وعن موسى بن جعفر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أَمَنة لأصحابي، فإذا قُبِضْتُ دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَة لأمتي، فإذا قُبِضَ أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهرًا على الأديان كلّها ما دام من قد رءاني**» اهـ.

وذكرت بعض الكتب عن جعفر الصادق قوله: «ولدني أبو بكر مرتين»[3]، لأنّ أمّه: أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأمّها (أم فروة): أسماء بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر[4].

لذلك لا عجب أن يرويَ جعفر الصادق عن أبيه بعض أخبار جدّه أبي بكر، ففي صحيح مسلم «عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث أسماء بنت عميس حين نَفِسَتْ بذي الحليفة أنّ رسول الله ﷺ أمر أبا بكر رضي الله عنه فأمرها أن تغتسل وتُهِلَّ»[5] اهـ.

ولا يستغرب أن يروي جعفر وأبوه رحمهما الله بعض أخبار عمر أيضًا، ففي موطأ الإمام مالك: «عن جعفر بن محمد بن عليّ عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب

---

(١) الخصال، ابن بابويه القميّ، (ص/ ٦٣٩ - ٦٤٠). بحار الأنوار، المجلسّي، (٢٢/ ٣٠٥).

(٢) أمالي الصدوق، (ص/ ٢٤٠-٢٤١).

(٣) الصوارم المهرقة، التستريّ، (ص/ ٢٥٧). كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلّي، (٢/ ١٦١).

(٤) فرق الشيعة، النوبختيّ، (ص/ ٧٨).

(٥) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب إحرام النفساء واستحباب اغتسالها للإحرام وكذا الحائض، (٤/ ٢٧)، رقم (٢٩٦٧).

رضي الله عنه ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم! فقال عبد الرّحمن ابن عوف: أشهد لسمعت الرسول يقول: «**سنُّوا بهم سنّة أهل الكتاب**»[1] اهـ.

وها هو جعفر بن محمد الإمام الصادق رضي الله عنه لم يكن يتولاهما فحسب، بل كان يأمر أتباعه بولايتهما أيضًا، فيقول صاحبه المشهور لدى القوم أبو نصير: كنت جالسًا عند أبي عبد الله رضي الله عنه إذ دخلت علينا أمّ خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه. فقال أبو عبد الله رضي الله عنه: أيسرّك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها. قال: وأجلسني على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما (أي أبي بكر وعمر) فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربّي إذا لقيته: إنّك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم»[2] اهـ.

وتذكر إحدى الروايات عن عليّ أنّ عثمان رضي الله عنه قد ساعده في مؤنة زفافه، «قال عليّ: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق، فبعته بأربعمائة درهم سود هَجَرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدّراهم منه وقبض الدّرع منّي قال: يا أبا الحسن، ألستُ بأولى بالدّرع منك، وأنت أولى بالدّراهم منّي؟ فقلت: نعم، قال: فإنّ هذا الدّرع هدية منّي إليك، فأخذت الدّرع والدّراهم وأقبلت إلى رسول الله ﷺ فطرحت الدّرع والدّراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبيّ ﷺ بخير»[3] اهـ.

وروى الترمذيّ[4]: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ النبيّ ﷺ قال: «**اللّهم أعزّ الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر**» قال: فأصبح فغدا عمر على الرسول فأسلم» اهـ.

---

(١) الموطّأ، الإمام مالك، كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس، (١/ ٢٧٨)، رقم (٦١٦).

(٢) الروضة من الكافي، (٨/ ١٠١)، تحت عنوان: حديث أبي نصير مع المرأة.

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، (٤٣/ ١٣١). كشف الغمة، الإربلّي، (١/ ٣٥٩).

(٤) سنن الترمذيّ، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (٥/ ٦١٨)، رقم (٣٦٨٣).

وروى أحمد[1]: «عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وُضِعَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر والقبر - أي بعد مقتله - فجاء عليّ رضي الله عنه حتى قام بين يدي الصفوف فقال: هو هذا. ثلاث مرات ثم قال: رحمة الله عليك، ما من خلق الله تعالى أحبّ إليَّ من أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبيّ ﷺ من هذا المسجى عليه ثوبه» اهـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال[2]: «لما أسلم عمر، نزل جبريل فقال: يا محمّد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر».

وروى ابن ماجه أيضًا[3]: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم عليّ بن أبي طالب، وأقرأهم لكتاب الله أبيّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإنّ لكل أمة أمينًا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»** اهـ. وخرَّجه الطبراني[4] فقال: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأرفق أمتي بأمتي عمر، وأقضى أمتي عليّ بن أبي طالب»**.

وروى ابن أبي شيبة[5]: عن السّديّ، عن عبدِ خيرٍ، قال: قال عليّ: «يرحم الله أبا بكر هو أولُ مَن جمع بين اللوحين[6]».

وروى المتقي الهنديّ[7] عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قال: «لما ندر أبو بكر الصديق إلى ذي القصة في شأن أهل الردة واستوى على راحلته، أخذ عليّ ابن أبي طالب بزمام راحلته وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ، أقول لك ما

---

(١) مسند أحمد، (١/ ١٠٩)، رقم (٨٦٦).
(٢) سنن ابن ماجه، (١/ ٧٦)، رقم (١٠٣).
(٣) المرجع نفسه، (١/ ١٠٧)، رقم (١٥٤).
(٤) المعجم الصغير، الطبراني، (١/ ٢٠١).
(٥) مصنف ابن أبي شيبة، (١٠/ ٥٤٤).
(٦) أي جمع بين دفتي المصحف.
(٧) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهنديّ، (٥/ ٦٥٨)، رقم (١٤١٥٧).

قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «شَمْ[1] سيفَك، ولا تُفْجِعْنا بنفسك، وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا» اهـ.

وأورد ابن حجر عن الشعبيّ أنه قال[2]: «إنّ عليًّا رضي الله عنه قال: كنّا أصحاب محمّد ﷺ لا نشك أنّ السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه» اهـ.

وحين قُتل عثمان رضي الله عنه اجتمع المهاجرون والأنصار وأتوا عليًا كرم الله وجهه فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك. فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك، إنّه لا يصلح الناس إلا بإمرة، فقال لهم: إنّكم قد اختلفتم إليَّ وأتيتم وإنّي قائل لكم قولًا، إن قبلتموه قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه، قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله. فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه، فقال: إنّي كنت كارهًا لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنّه ليس لي أن ءاخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟، قالوا: نعم، قال: اللّهم اشهد عليهم[3].

وأورد الطبرسيّ في «الاحتجاج»: «أنّ عليًّا رضي الله عنه قال في خطبته: خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر، ولم لا يقول هذا وهو الذي روى: «أننا كنا مع النبيّ ﷺ على جبل حراء، إذ تحرك الجبل، فقال: **قر، فإنّه ليس عليك إلا نبيّ وصِدّيق وشهيد**»[4]. وروايته موافقة لرواية أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزّبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبيّ أو صدّيق أو شهيد**». رواه مسلم[5].

---

(١) أي اغمد.

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر، (١٥/ ٧٣٥)، رقم (٣٨٨٣).

(٣) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (٣٩٣-٣٩٤).

(٤) الاحتجاج، الطبرسّي.

(٥) صحيح مسلم، كتاب(٤٤) فضائل الصحابة، باب (٦) من فضائل طلحة والزبير، (٤/ ١٨٨٠)، رقم (٢٤١٧).

وكان الإمام الحسن بن عليّ رضي الله عنهما أيضًا «يوقّر أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى حدّ حتى جعل من احدى الشروط على معاوية بن أبي سفيان أنه يعمل ويحكم في الناس بالكتاب، وسنّة رسول الله ﷺ، وسيرة الخلفاء الراشدين وفي رواية: الخلفاء الصالحين»[1] اهـ.

أما عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، فقد رُوي عنه أنّه جاء إليه نفر من العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - أي طعنوا فيهم -، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني هل أنتم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2]؟ قالوا: لاـ قال: فأنتم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[3]؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، اخرجوا عني، فعل الله بكم»[5] اهـ.

أبو عبد الله جعفر سئل عن أبي بكر وعمر كما رواه القاضي نور الله الشوشتريّ «أن رجلًا سأل الإمام الصادق رضي الله عنه، فقال: يا ابن رسول الله ﷺ، ما تقول في حقّ أبي بكر وعمر؟ فقال رضي الله عنه: إمامان عادلان قاسطان، كانا على الحقّ، وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يومَ القيامة»[6] اهـ.

---

(١) منتهى الآمال، عباس القمّيّ، (٢/ ٢١٢).
(٢) سورة الحشر، الآية: ٨.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٤) سورة الحشر، الآية ١٠.
(٥) كشف الغمة، الأربلّي، (٢/ ٦٨).
(٦) إحقاق الحق، الشوشتريّ، (١/ ١٦).

حسن بن عليّ الملقب بالحسن العسكريّ فيقول وهو يسرد واقعة الهجرة أنّ رسول الله ﷺ بعد أن سأل عليًّا رضي الله عنه النوم على فراشه قال لأبي بكر رضي الله عنه: «**أرضيت أن تكون معي يا أبا بكر تطلب كما أطلب، وتعرف بأنك أنت الذي تحملني على ما أدعيه فتحمل عني أنواع العذاب؟**» قال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ، أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب في جميعها أشدّ العذاب لا ينـزل عليّ موت صريح ولا فرح مَيْح[1] وكان ذلك في محبتك، لكان ذلك أحبّ إلّي من أن أتنعم فيها وأنا مالك لجميع مماليك ملوكها في مخالفتك، وهل أنا ومالي وولدي إلا فداءك، فقال رسول الله ﷺ: «**لا جرم أن اطلع الله على قلبك، ووجد موافقًا لِما جرى على لسانك، جعلك مني بمنـزلة السمع والبصر، والرأس من الجسد، والروح من البدن**»[2] اهـ.

وهذه رواية: «إنّ ناسًا من رؤساء الكوفة وأشرافها الذين بايعوا زيدًا حضروا يومًا عنده، وقالوا له: رحمك الله، ماذا تقول في حقّ أبي بكر وعمر؟ قال: ما أقول فيهما إلا خيرًا كما لم أسمع فيهما من أهل بيتي (بيت النبوة) إلا خيرًا، ما ظَلَمانا ولا أحدَ غيرنا، وعملا بكتاب الله وسنة رسوله»[3] اهـ.

وفي رواية: «سأل الصدّيق عليًّا: كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبيّ ﷺ حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بما أسمعتني من رسول الله ﷺ يا أبا الحسن، بشرك الله»[4] اهـ.

وهذه أيضًا رواية: «وكان عليّ رضي الله عنه يقول: محمّد ابني من ظهر أبي بكر»[5] اهـ.

---

(١) المَيْح هو العطاء، انظر مختار الصحاح، الرازي، (٦٢٢).
(٢) تفسير الحسن العسكريّ، (ص/ ١٦٤ - ١٦٥).
(٣) ناسخ التواريخ، (٢/ ٥٩٠) تحت عنوان: أحوال الإمام زين العابدين.
(٤) المرجع نفسه، تحت عنوان عزام أبي بكر،كتاب (٢، ٢/ ١٥٨).
(٥) الدرة النجفية، الدنبلّي. شرح نهج البلاغة، (ص/ ١١٣).

روايات في عمر بن الخطاب عليه رضوان الله

«يقول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يذكر الفاروق وولايته مصدقًا لرؤيا سيد ولد ءادم عليه الصلاة والسلام الذي رءاه، وبشّر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ووليهم وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه»[١].

فانظر إلى ابن عم رسول الله ﷺ ووالد سبطيه وهو يبالغ في مدح الفاروق، ويقول: «لله بلاد فلان، فقد قوّم الأود[٢]، وداوى العمد، وخلف الفتنة، وأقام السنة، ذهب نقيّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضالّ، ولا يستيقن المهتدي»[٣]. ومعنى قوَّم الأود: عدّل الاعوجاج، والعمد: العلة، وخلف الفتنة: تركها خلفه لا هو أدركها ولا هي أدركته[٤].

ويقول ابن أبي الحديد: «العرب تقول: لله بلاد فلان أي درّ فلان، وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضى أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت عنوان: «عمر». وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلويّ فقال لي: هو عمر، فقلت له: أثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم»[٥] اهـ.

وأيضًا أشار بذلك إلى دعاء النبيّ عليه الصلاة والسلام: «اللّهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب»[٦] اهـ. وشواهد ذلك كثيرة في عدله وفرقه بين الحقّ والباطل.

وهذا السيد مرتضى يقول: فلما وصل الأمر إلى عليّ بن أبي طالب كُلّمَ في

---

(١) نهج البلاغة، (ص/ ٥٥٧).

(٢) أوِد الشيء:اعوجّ، انظر مختار الصحاح، الرازي، (٥٧).

(٣) نهج البلاغة، (ص/ ٣٥٠).

(٤) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (٤٠٠).

(٥) شرح نهج البلاغة، (٣/ ٩٢).

(٦) بحار الأنوار، عن محمد الباقر، ج٤، كتاب السماء والعالم.

ردّ فَدَك، فقال: «إني لأستحي من الله أن أردّ شيئًا منع منه أبو بكر، وأمضاه عمر»[1] اهـ.

وهذا الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما يقول: لا أعلم عليًّا خالف عمر، ولا غيّر شيئًا مما صنع حين قدم الكوفة»[2] اهـ.

وورد عن أمير المؤمنين عليّ حين قدم الكوفة أنّه قال: «ما كنت لأحلّ عقدة شدّها عمر»[3] اهـ. وهذا كان حال عثمان قبله حريصًا على المؤمنين محبًا لجوار رسول الله ﷺ إذ كان معاوية قد قال لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من لا قبل لك به، فإنّ أهل الشام على الأمر لم يزالوا، فقال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي[4].

وقال عثمان بن عفان للأشتر ردًا على مطالب الناس الخارجين عليه: أما أن أخلع لهم أمري فما كنت لأخلع سربالًا سربلنيه الله عزّ وجلّ، والله لأن أقدّم فتضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أخلع قميصًا قمصنيه الله وأترك أمّة محمّد يعدو بعضها بعضًا[5].

ولما غُسل عمر رضي الله عنه وكُفّن دخل عليّ فقال: «ما على الأرض أحد أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى[6] بين أظهركم»[7] اهـ. وهذا مصداق ما ذكره العلماء عن عدله وورعه وإصلاحه فعن الحسن قال: كان بين عمر ورجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتق الله، فقال رجل من القوم: أتقول

---

(١) الشافي في الإمامة، (ص/ ٢١٣). شرح نهج البلاغة، مرجع سابق.
(٢) الرياض النضرة، (٢/ ٨٥).
(٣) الخراج، ابن ءادم، (ص/ ٢٣). فتوح البلدان، البلاذريّ، (ص/ ٧٤).
(٤) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٧٠).
(٥) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ٢٧٤).
(٦) أي المكفّن.
(٧) الشافي، علم الهدى، (ص/ ١٧١). تلخيص الشافي، (٢/ ٤٢٨).

لأمير المؤمنين اتق الله؟ فقال له عمر: دعه فليقلها لي، نِعْم ما قال، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نقبلها[1]. وقال رضي الله عنه: لا خير في قوم ليسوا بالمتناصحين، ولا خير في قوم لا يحبون المتناصحين[2].

وفي مدّة خلافته كان قدوةً في تواضعه وحرصه على تولي أمور المسلمين بأمانة، قال عمر رضي الله عنه: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولًا، فإنّي أعلم أنّ للناس حوائج تقطع دوني، أمّا عمالهم فلا يرفعونها إليَّ، وأمّا هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنِعم الحول هذا[3]. عمر بن الخطاب عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسودّ جلده ويقول: بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع[4].

ثم لما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب كلَّم عليًّا وعثمانَ من أهل الشورى ولم يكلم سواهما فأمّا عليّ فأوصاه قائلًا: يا عليّ لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك من النبيّ ﷺ وصهرك وما ءاتاك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فيه. ثم دعا عثمان فأوصاه: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ، وسنّك وشرفك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله، ولا تحملن بني أبي مُعيط على رقاب الناس[5].

وأما ابن أبي الحديد فيذكر: «طُعِنَ أميرُ المؤمنين – أي عمر – فانصرف الناس وهو في دمه مسجى لم يصلّ الفجرَ بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين! الصلاة، فرفع

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص/ ١١٧).

(٢) المرجع نفسه، (ص/ ١٤١).

(٣) المرجع نفسه، (ص/ ١٢٧).

(٤) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، (ص/ ١٦٠).

(٥) المرجع نفسه، (٢٥٢).

رأسه وقال: لا حظّ لامرئ في الإسلام ضيّع صلاته، ثم وثب ليقوم فانبعث جرحه دمًا، فقال: هاتوا لي عِمامة، فعصب جرحه، ثم صلّى وذكر، ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال: ضع خدي إلى الأرض يا عبد الله! قال عبد الله: فلم أعج[1] بها وظننت أنّها اختلاس من عقله، فقالها مرّة أخرى: ضع خدّي إلى الأرض يا بني، فلم أفعل، فقال الثالثة: ضع خدّي إلى الأرض لا أمَّ لك، فعرفت أنّه مجتمع العقل، ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من الغلبة، فوضعت خدّه إلى الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خارجة من أضعاف التراب وبكى، حتى نظرت إلى الطين قد لصق بعينه، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول فسمعته يقول: يا ويل عمر، إن لم يتجاوز الله عنه. وقد جاء في رواية أنّ عليًّا جاء حتى وقف عليه فقال: ما أحدٌ أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى»[2] اهـ.

ولقد شهد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه قائلًا: «إنّ خير هذه الأمة بعد نبيّها أبو بكر وعمر»[3] اهـ.

وقال أيضًا: «إنّهما إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمقتدى بهما بعد رسول الله ﷺ، ومن اقتدى بهما عصم»[4] اهـ.

وقال أيضًا: «إنّ أبا بكر منّي بمنزلة السمع، وإنّ عمر منّي بمنزلة البصر»[5] اهـ. والجدير بالذكر أنّ هذه الرواية رواها عليّ عن الرسول الكريم ﷺ، وقد رواها عن عليّ ابنه الحسن رضي الله عنهما.

ولقد مدح عمرَ الفاروقَ ابنُ عباس رضي الله عنهما وهو أحد أعلام أهل بيت النبوّة وسادتهم وابن عمّ النبيّ عليه الصلاة والسّلام بقوله: «رحم الله أبا حفص

---

(١) العَجُّ: رفع الصوت، انظر مختار الصحاح، الرازي، (ص/ ٤١٧).
(٢) شرح نهج البلاغة، (٣/ ١٤٧).
(٣) الشافي، (٢/ ٤٢٨).
(٤) تلخيص الشافي، (٢/ ٤٢٨). ومعنى عُصِم: أي اهتدى للحق.
(٥) عيون أخبار الرضا، (١/ ٣١٣).

كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحسان، ومحل الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء، وقام بحقّ الله صابرًا محتسبًا حتى أوضح الدين، وفتح البلاد، وءامن العباد»[1] اهـ.

(١) مروج الذهب، المسعوديّ، (٣/ ٥١). ناسخ التواريخ، (٢/ ١٤٤).

هل أثّرت المحن والفتن في موقف الصحابة والتابعين والأمة من ءال بيت النبيّ ﷺ؟

تأخذنا دهشة كبيرة وغصّة شديدة عندما تصلنا أنباء وأخبار تلك الأحداث والمجريات الأليمة التي جرت في زمن الصحابة الكرام، أحداث الجمل، وما جرى بعدها من حرب بين سيدنا عليّ رضي الله عنه وبين معاوية.

وإذا أردنا أنّ نفهم بعض ما جرى فالمطلوب أن لا ننسى أنّ الصحابة لم يكونوا معصومين، وأن الفتن إذا أنشبت أظفارها ومخالبها جرّت أقدام أهلها إلى حيث لا يريدون، وإلى ما لم يكونوا يتوقعون.

ومما يدلّنا على ذلك ما ورد من ندم السيدة عائشة رضي الله عنها على خروجها إلى العراق قبيل حادثة الجمل، وقولها بعد وقوعها: «لأن أكون جلست عن مسيري كان أحبَّ إليَّ من أن يكون لي عشرة من رسول الله ﷺ مثل ولد الحارث ابن هشام»[1].

وأورد ابن أبي شيبة عن طلحة بن مصرف، أنّ عليًّا أجلس طلحة يوم الجمل، ومسح عن وجهه التراب، ثم التفت إلى حسن، فقال: «إنّي وَددتُ أنّي متّ قبل هذا»[2].

وروى كذلك: «عن الصَّلْتِ بنِ بَهْرامَ عن شقيقِ بنِ سَلَمَةَ، أنَّ عليًّا لم يَسْبِ يومَ الجملِ ولم يقتل جريحًا»[3]. وعن السديّ، عن عبدِ خيرٍ، عن علّي رضي الله عنه أنّه قال يوم الجمل: «لا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو ءامن»[4] اهـ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، (١٥/ ٢٧٦).

(٢) المرجع نفسه، (١٥/ ٢٦٨).

(٣) المرجع نفسه، (١٥/ ٢٥٦). والمعنى أنه لم يأخذ سبايا حرب ولا قتل الجرحى لإسلامهم.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، (١٥/ ٢٦٢).

وروى أيضًا[1]: «عن خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر، قال: جلس عليّ وأصحابه يوم الجمل يبكون على طلحة والزبير» اهـ. كيف لا وهو الثابت على الحقّ كيفما دار دار معه، فقد أخرج الطبراني عن سهل قال: لما قدم النبيّ ﷺ من حجّة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أيّها النّاس إنّي راضٍ عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزّبير وسعد وعبد الرّحمن بن عوفٍ والمهاجرين الأولين فاعرفوا لهم ذلك**»[2]. وقد عرف الإمام عليّ كرّم الله وجهه لهم ذلك فبكى على طلحة والزّبير.

روى ابن أبي شيبة[3] عن منصور بن عبد الرّحمن، عن الشعبيّ، قال: «لم يشهد الجمل من أصحاب النبيّ ﷺ من المهاجرين والأنصار إلا عليّ وعمار وطلحة والزّبير فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب» اهـ.

فكثير من الصحابة اعتزلوا هذا القتال تورّعًا عن دماء المسلمين، مع علمهم أنّ الحقّ مع سيّدنا عليّ رضي الله عنه، لذلك رأينا ابن عمر رضي الله عنهما وكان لورعه قد أشكلت عليه حروب عليّ عليه رضوان الله وقعد عنه، وندم على ذلك حين حضرته الوفاة فقال: «ما ءاسى على شىء إلا أنّي لم أقاتل مع عليّ رضي الله عنه الفئة الباغية» اهـ.

وذلك أن ما ءالت إليه الأحداث وضّحت له أنّ الحقّ مع عليّ رضي الله عنه، وأنّ الفئة الباغية هي فئة معاوية ومن معه.

ولكن موقف اعتزال الفتنة لم يمنع كثيرًا من الصحابة من مبادرة الفريقين بالنّصح والإرشاد، وطلب الصلح وإصلاح ذات البين.

فمما قاله سيّدنا عليّ رضي الله عنه أثناء مراجعة أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما بينه وبين معاوية: «إنما الناس مع المهاجرين والأنصار، فهم شهود

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، (١٥/ ٢٦٠).

(٢) المعجم الكبير، وانظر نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، الشبلنجي، (ص/ ١٦).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، (١٥/ ٢٦٣)، رقم (٣٨٩٣٧).

الناس على ولايتهم وأمر دينهم، ورضوا وبايعوني، ولست أستحلّ أن أدع مثل معاوية يحكم على الأمّة ويشق عصاها، فرجعوا إلى معاوية فقال: ما بال من ها هنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الامر؟ فرجعوا فقال عليّ: إنما هذا للبدريين دون غيرهم، وليس على وجه الأرض بدري إلا وهو معي، وقد بايعني وقد رضي»[1] اهـ.

وقد نقل صاحب «نهج البلاغة» قريبًا من هذا النّص، ومما جاء فيه: «إنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى»[2] اهـ.

وانظروا معي ما كان من أمر معاوية نفسه بعد مقتل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وهذا مما قد يستغربه البعض كيف يعرف معاوية فضل سيّدنا عليّ ويقاتله وينازعه الخلافة! نقول: إنما غلبته الدنيا وإن يريد إلا الملك، كما ثبت عن عليّ أنّه قال عنه، طلب معاوية من ضرار بن ضمرة أن يصف له عليًا، فقال: اعفني، قال: أقسمت عليك لتصفنّه، قال: أما إذا كان ولا بدّ فإنّه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلًا ويحكم عدلًا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدّين ويقرّب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرّي غيري إليّ تعرضت أم لي تشوفت هيهات هيهات قد

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (٧/ ٢٨٨).
(٢) نهج البلاغة، (ص/ ٣٦٧).

طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير، ءاه من قلّة الزّاد وبُعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: من ذبح ولدها في حجرها فهي لا يرقأ دمعها ولا يخفى فجعها[1].

وقال معاوية يومًا، وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: «أخبروني بأكرم الناس أبًا وأمًّا وعمًّا وعمةً وخالًا وخالةً وجدًّا وجدّةً». فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسن بن عليّ رضي الله عنهما فقال: «ها هو ذا، أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وجدّته خديجة بنت خويلد وجدّه رسول الله ﷺ، وعمّه جعفر الطيّار في الجنّة، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب». فسكت القوم ونهض الحسن، فقام رجل من بني سهم وقال: أنت أمرت ابن عجلان على مقالته؟. فقال ابن عجلان: ما قلت إلّا حقًّا، وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق، إلا لم يعط أمنيته في دنياه، وختم له بالشقاء في ءاخرته، بنو هاشم أنضركم عودًا، وأوراكم زندًا، كذلك يا معاوية؟ فقال معاوية: اللّهم نعم[2] اهـ.

سيّدنا عليّ وكبار الصحابة يرفضون تكفير وسبّ وشتم بعضهم البعض

ثم إنّ الصحابة الكرام بما فيهم سيّدنا عليّ رضي الله عنهم جميعًا لم يكفّروا بعضهم بعضًا في هذه الخصومة، ولم ينكروا محاسن وفضائل بعضهم، إذ كانت أحداث هذه الفتنة المتطاولة قد جعلت بعض الناس ينزلقون في شتم مخالفيهم لمواقفهم التي اتخذوها، فإن موقف أمة الإسلام ممثلة بصحابة النبيّ ﷺ وءال بيته الكرام وصالحي التابعين يخالف هذا الاتجاه. فقد ورد: «عن سفيان، عن جعفر،

(١) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (٢١٨-٢١٩).

(٢) خبايا الدراية، الفاخوري، (ص/ ٦١٧).

عن أبيه، أنّ رجلًا ذكر عند عليّ أصحابَ الجمل حتى ذكر الكُفْر، فنهاه عليّ»[1].

وأورد ابن أبي شيبة: عن أبي البَخْتَرِيّ، قال: «سُئِل عليٌّ عن أهل الجمل، قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشّرك فرّوا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا»[2].

وذكر الطبريّ قال «حدثنا محمّد بن عبيد المحاربيّ قال: حدّثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: قيل لسهل بن سعد: إنّ أمير المدينة يريد أن يبعث إليك لتسب عليًّا عند المنبر. قال: كيف أقول؟ قال: تقول أبا تراب! فقال: والله ما سماه بذلك إلا رسول الله ﷺ. قلت: وكيف ذلك يا أبا العباس؟ قال: دخل عليّ على فاطمة، ثم خرج من عندها فاضطجع في صحن المسجد، قال: فجاء رسول الله ﷺ إلى فاطمة رضي الله عنها فقال: أين ابن عمّك؟ قالت: هو ذاك مضطجع في المسجد، قال: فجاء رسول الله ﷺ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عن ظهره، ويقول: «**اجلس أبا ترابٍ**» فوالله ما سماه به إلا رسول الله ﷺ والله ما كان اسم أحبّ إليه منه»[3].

وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعتزل الفتنة، ويرفض سبّ أمير المؤمنين عليًّا رضوان الله عليه. فعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر فلما رءاه سعد، قال: أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب[4]، فنزل فقال له: أنزلتَ فى إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ الله يحبّ العبد التقيّ الغنيّ الخفيّ**»[5].

---

(١) الاستيعاب، (١٥/ ٢٧٦)، رقم (٣٨٩٦٢).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ١٥/ ٢٥٥)، رقم (٣٨٩١٨).

(٣) الاستيعاب، (١/ ٣٤٤).

(٤) وقد كان تعوّذ سعد في مكانه، فابنه عمر بن سعد سيكون في الغد أحد الوالغين في دم الحسين رضي الله عنه بسبب مطمعه في ملك الريّ.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، (٨/ ٢١٤)، رقم (٧٦٢١).

فلم يكن لسعد مطمع في الخلافة، وإن كان أهلًا لها، ثم رفض أن ينحاز لأحد الأطراف، أو أن يسبّ عليًّا أمير المؤمنين. فعن عامر بن سعد كذلك قال: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمر النّعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له بعد أن خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله ﷺ، خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبوة بعدي**». وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأعطين الراية رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه**». قال: فتطاولنا لها فقال: «**ادعوا لي عليًّا**». فأُتِيَ به أرمد فبصق في عينه ودفع الرّاية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[1] دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللّهم هؤلاء أهلي**»[2].

فنلاحظ من هذا الحديث أنّ هذا الصحابيّ الجليل رفض دعوة معاوية لشتم عليّ رضي الله عنه، وهذه دعوة خطيرة جدًّا توقع في كبائر الذنوب، فقد روى الحاكم: «عن بكير بن عثمان البجليّ قال: سمعت أبا إسحاق التميميّ يقول: سمعت أبا عبد الله الجدليّ يقول: حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة، وإذا الناس عنق واحد، فاتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ فسمعتها تقول: يا شبيب ابن ربعيّ! فأجابها رجل جلف جافٍ: لبيك يا أمتاه. قالت: يُسبُّ رسول الله ﷺ في ناديكم؟! قال: وأنى ذلك؟! قالت: فعليّ بن أبي طالب! قال: إنا لنقول أشياء نريد عرض الدنيا! قالت: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ سبَّ عليًّا فقد سبّني، ومَنْ سبّني فقد سبَّ الله تعالى**»[3] اهـ. أي كأنّه سبّني وهذا

---

(١) سورة ءال عمران، الآية: ٦١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، (٧/ ١٢٠)، رقم (٦٣٧٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين، (٣/ ١٣٠)، رقم (٤٦١٦).

لعُظم ذنب من سبّ عليًا أي ذنبه من الكبائر وأما سبّ النبيّ ﷺفكفر وخروج من الإسلام.

وقد تكرّر رفض الصحابة الكرام شتمّ سيّدنا عليّ رضي الله عنه، فهذا سهل ابن سعد عليه رضوان الله يستعصي على محاولة الأمير الأمويّ الذي أراد أن يحتال عليه ليشتم عليًّا بأحبّ ألقابه إليه: فعن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استُعْمِلَ على المدينة رجل من ءال مروان، فدعا سهلَ بن سعد فأمره أن يشتم عليًّا، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيتَ فقل: لعن الله أبا التراب! فقال سهل: ما كان لعليّ اسم أحبّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعِيَ بها. فقال له أخبرنا عن قصته لم سُمّيَ أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «**أين ابن عمّك؟**». فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فلم يَقِلْ[1] عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو**»، فجاء فقال: يا رسول الله ﷺ، هو في المسجد راقد. فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه فأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا التراب، قم أبا التراب**»[2].

وقال أحدهم للصحابيّ الجليل سفينة مولى رسول الله ﷺ: إنّ هؤلاء يزعمون أنّ عليًّا لم يكن بخليفة! قال: «كَذَبَتْ أَسْتَاهُ[3] بني الزرقاء» يعني بني مروان»[4] اهـ.

موقف الصّحابة الكرام رضي الله عنهم من مظالم بعض الخلفاء

إذا كان بعض الناس يكرهون بعض الحكام والسلاطين المسلمين لما وقع منهم من مظالم لأهل البيت، فإنّ صحابة النبيّ ﷺ والتابعين لهم بإحسان كانوا

---

(١) أي لم ينم.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، (٧/ ١٢٣)، رقم (٦٣٨٢).

(٣) أي مقعدة الإنسان.

(٤) سنن أبي داود، باب في الخلفاء، (٤/ ٣٤٢)، رقم (٤٦٤٨).

على كراهة هذا الظلم، ولذلك كانوا ينصحون حكّامهم وأمراءهم، بل ويغلظون لهم ويتوعّدونهم أحيانًا بسبب مظالمهم.

نبدأ ببعض ما حصل عند الفتنة في زمان عثمان بن عفان: دخل عبد الله بن عمر على عثمان وهو محصور فسلم ثم قال: يا أمير المؤمنين، صحبت رسول الله ﷺ فسمعت وأطعت، ثم صحبت عمر رضي الله عنه فسمعت وأطعت ورأيت له حقّ الوالد وحقّ الخلافة، وها أنا طوع يديك يا أمير المؤمنين، فمرني بما شئت، فقال عثمان: جزاكم الله يا ءال عمر خيرًا، جزاكم الله يا ءال عمر خيرًا، لا حاجة لي في إراقة الدم، لا حاجة لي في إراقة الدم[1].

وعن أبي هريرة قال إنّي لمحصور مع عثمان رضي الله عنه في الدّار، فرُمي رجل منّا، فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منّا رجلًا، قال عثمان: عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت السيف، فإنما تُراد نفسي وسأقي المؤمنين بنفسي[2].

ومن أبلغ ما يعبر عن موقف الصحابة الكرام من مسبة عليّ ما ورد عن قيس ابن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار زيت، فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم عليّ بن أبي طالب، والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص- الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة - فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم عليّ ابن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا علام تشتم علي ابن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول الله ﷺ؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللّهم إنّ هذا يشتم وليًا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى

---

(١) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (٣٠٨).

(٢) المرجع نفسه، (٣٠٨).

تريهم قدرتك، قال قيس: فوالله ما تفرّقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات. رواه الحاكم[1] في المستدرك وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ثم هذا زيد بن أرقم رضي الله عنه يتحدّى ابن زياد، حيث قال: «بعث إليَّ عبيد الله بن زياد فأتيته، فقال: ما بال أحاديث تحدّثها وترويها عن رسول الله ﷺ لا نجدها في كتاب الله؟ تحدّث أنّ له حوضًا في الجنة! قال: قد حدثناه رسول الله ﷺ ووعدناه. قال: كذبت، ولكنك شيخ قد خرفت! قال: إنّي قد سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ يقول: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من جهنم**»، وما كذبت على رسول الله ﷺ، وحدّثنا زيد في مجلسه قال: «**إنّ الرجل من أهل النّار ليعظم للنّار حتى يكون الضرس من أضراسه كأحد**»[2] اهـ.

وهذا معقل بن يسار المزنيّ رضي الله عنه يتوعّد ابن زياد، عن قتادة عن أبي المليح أنّ عبيد الله بن زياد دخل على معقل بن يسار في مرضه، فقال له معقل: إنّي محدّثك بحديث لولا أنّي في الموت لم أحدثك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ إِلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ**»[3] اهـ.

وهذا هو الصحابيّ عائذ بن عمرو رضي الله عنه يزجر عبيد الله بن زياد ويشير إلى قسوته وبطشه، فقد دخل عليه فقال: «أي بنيّ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ شرّ الرّعاء الحطمة**[4]، **فإيّاك أن تكون منهم**». فقال له: اجلس، فإنّما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ! فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم!»[5] اهـ.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، مرجع سابق.
(٢) مسند أحمد، (٤/ ٣٦٦)، رقم (١٩٢٨٥).
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاشّ لرعيته النار، (١/ ٨٨)، رقم (٣٨٣).
(٤) الحطمة: العنيف في رعاية الإبل.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، (٦/ ٩)، رقم (٤٨٣٨).

وقد روت كتب السنة إنكار الصحابة على عبيد الله بن زياد قتْلَ الحسين رضي الله عنه، فقد ورد أنّ زيد بن أرقم عليه رضوان الله تعالى رأى ابن زياد يعبث بقضيب في يده بفم الحسين عليه السلام بعد ذبحه، فقال له زاجرًا: «ارفع قضيبك، فوالله، لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبّل ما بين هاتين الشفتين، ثم جعل زيد يبكي، فقال ابن زياد عليه من الله ما يستحق: أبكى الله عينيك، لولا أنّك شيخ خرفت لضربت عنقك! فنهض زيد رضي الله عنه وهو يقول: أيّها الناس، أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة- يعني ابن زياد- والله ليقتلنّ خياركم ويستعبدن شراركم، فبعدًا لمن رضي بالذّلة والعار.

ثم وجّه كلامه لابن زياد قائلًا: يا بن زياد، لأحدّثنّك بما هو أغيظ عليك من هذا: رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسنًا على فخذه اليمنى وحسينًا على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: «اللّهم إني أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين» فكيف كانت وديعة النبيّ ﷺ عندك يا بن زياد»[1] اهـ.

وقد خرج الصحابيّ ابن الصحابيّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على حكم الأمويين، وتوسعت دائرة حكمه، حتى عدّه السيوطيّ من الخلفاء، وأقام العدل في نطاق سلطانه في الحجاز واليمن، حتى زحفت إليه جيوش الأمويين، وقتله الحَجّاج في الحرم، ثم صلبه.

وعن أبي نوفل قال: «رأيت عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على عقبة المدينة - أي مصلوبًا -، قال: فجعلت قريش تمرّ عليه والناس، حتى مرّ عليه عبد الله ابن عمر رضي الله عنه فوقف عليه فقال: «السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب. أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا[2]، أما والله إن كنتَ ما

---

(١) الصواعق المحرقة، (٢/ ٥٧٨).

(٢) ذلك أن مذهب ابن عمر كان رفض الخروج على السلاطين وإن جاروا، لِما يترتب على ذلك من إزهاق للأرواح، وفساد وبطش وتنكيل، وهي مسألة فيها خلاف كبير بين أهل العلم، وقد=

علمتُ صوّامًا قوّامًا وصولًا للرحم، أما والله لأمةٌ أنت أشرُّها لأمة خير. ثم نَفَذَ عبدُ الله بن عمر فبلغ الحَجاجَ موقفُ عبد الله وقوله، فأرسل إليه - أي إلى عبد الله ابن الزبير المصلوب - فأُنْزِلَ عن جذعه فأُلْقِيَ في قبور اليهود! ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثنّ إليك مَن يسحبك بقرونك! فأبت وقالت: والله لا ءاتيك حتى تبعث إليَّ مَن يسحبني بقروني! فقال: أروني سَبْتِي. فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذّف حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدوّ الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك ءاخرتك! بلغني أنّك تقول له: يا بن ذات النّطاقين! أنا والله ذات النّطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إنّ رسول الله ﷺ حدّثنا: «**أنَّ في ثقيف كذابًا ومبيرًا**»[1] فأما الكذّاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إيّاه! فقام عنها ولم يراجعها»[2] اهـ.

قال القاضي عياض رحمه الله: «ففيه قول ابن عمر بالحقّ، وقلّة خوفه من الحَجّاج، فإنّه لم تصده سطوته عن الشهادة بما علم فيه ليبين للناس كذب الحجاج وشيعته في وصفهم له بعدوّ والكفر والبخل»[3] اهـ.

ففي هذا الحديث الحزين مفتّت الأكباد يتوضّح موقف ابن الزبير من الأمويين، فلم يبايعهم ولم يرتضِ حكمهم، وكذلك تتجلّى جرأة ابن عمر وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعًا.

ويظهر أنّ ما أصاب المسلمين والصحابة وأبناء الصحابة من الخسف والظلم

= نهى ابنُ عمر الحسينَ رضي الله عنهما عن الخروج على الأمويين كما نهى ابن الزبير.

(١) مُبير: مهلك يسرف في إهلاك الناس، لسان العرب، ابن منظور، مادة(بور)، (٤/ ٨٦).

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، (٧/ ١٩٠)، رقم (٦٦٦٠).

(٣) تكملة فتح الملهم، تقيّ الدين العثمانّي، (٥/ ١٦٢). عن المفهم للقاضي عياض، (٦/ ٥٠٣ - ٥٠٤).

على يد الحجّاج كان شبيهًا بما أصاب ءال بيت النبيّ ﷺ متمثّلين بالحسين وءاله في كربلاء، فلا يساق المسلمون كلّهم جميعًا سوقًا واحدًا بأنّهم أتباع الأمويين وأعداء ءال البيت.

صالحو الأمويين يحبون ءال البيت ويتولّونهم

وإذا وقع من بعض حكام الأمويين ما وقع، فإنّ صالحي الأمويين كانوا يحبون ءال بيت النبيّ ﷺ ويمنعون إيذاءهم، فقد كان «هشام بن إسماعيل - أحد ولاة الوليد بن عبد الملك - يؤذي زينَ العابدين وأهل بيته، وينال من عليّ رضي الله عنه، فعزله الوليد وأوقفه للناس، وكان أخوف ما عليه أهل البيت، فمرّ عليهم فلم يتعرّض له أحد منهم، فنادى: الله أعلم حيث يجعل رسالاته»[1] اهـ.

وهذا عمر بن عبد العزيز يقتدي بسيرة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنهما، فيسأل عن سُنَّة عليّ رضوان الله عليه في الصدقات والأوقاف، وهذا ما أثبتته رواية المجلسي: حيث يروى أنّ الإمام الصادق جعفر بن محمّد قال: «إنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم[2] أن يرسل إليه بصدقة عليّ وعمر وعثمان[3]، وإنّ ابن حزم بَعَثَ إلى زيد بن الحسن، وكان أكبرَهم، فسأله الصدقة فقال زيد: إنّ الواليَ كان بعد عليٍّ الحسنَ، وبعدَ الحسنِ الحسينَ، وبعد الحسينِ عليَّ بنَ الحسين، وبعد عليّ ابن الحسين محمدَ بنَ عليّ فابعث إليه، فبعث ابنُ حزم إلى أبي فأرسلني أبي بالكتاب إليه حتى دفعتُهُ إلى ابن حزم»[4] اهـ.

وقد ذكرت كتب التاريخ أنّ عمر بن عبد العزيز رفض شتم عليّ رضي الله عنه على المنابر، وألغى هذه العادة السيئة. فقد «كان بنو أمية يسبّون عليّ بن أبي طالب في الخطبة، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطله، وكتب إلى نوابه بإبطاله وقرأ مكانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ

---

(١) الصواعق المحرقة، باب إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت، (٢/ ٦٨٣). وأوقفه للناس: اي جعله عبرة لغيره تخويفًا لهم من إيذاء أهل البيت.

(٢) محمد بن عمر بن حزم الأنصاريّ، ولد في عهد النبيّ ﷺ سنة عشر بنجران، وكان أبوه عامل النبيّ ﷺ على نجران. مرءاة العقول، المجلسيّ، (٣/ ٣٢٤).

(٣) أي سجلّ صدقاتهم وأوقافهم.

(٤) الكافي، (١/ ٣٦١ - ٣٦٢).

وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى أيامنا هذه»[2] اهـ.

والأمّة لا تجتمع على ضلالة، ولا تقبل بالظلم مجتمعة، ولا تضلّ طريقها، فقد أُطْلِقَ على عمر بن عبد العزيز اسم الخليفة الراشديّ الخامس، رغم أنّه لم يكن من الصحابة الكرام، لأنّه رضي الله عنه نسج على منوال الخلفاء الراشدين المهديين، في حين لم يُطلَق هذا اللقب على معاوية ولم تُرْتضَ أفعال ابنه يزيد.

أهل السّنة يفرحون بانتقام الله تعالى مِن قَتَلَة الإمام الحسين رضي الله عنه

لقد شفى الله صدور المؤمنين بقتله وانتقامه ممن قتلوا وليَّه الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه، فقد روى الترمذيّ: «عن الأعمش عن عمارة بن عمير قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد – الذي أمر بقتل الإمام الحسين – وأصحابه نُضّدَت في المسجد في الرحبة، فانتهيتُ إليهم وهم يقولون: قد جاءت! قد جاءت! فإذا حيّة قد جاءت تخلّل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد، فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت! قد جاءت! ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا»[3] اهـ.

وفي الخطط للمقريزي ما نصّه: لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها. وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[4] قال: بكاؤها حمرة أطرافها، وعن الزهري بلغني أنّه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطيّ، (١/ ٢٠١).

(٣) سنن الترمذيّ، باب مناقب الحسن و الحسين عليهما السلام، (٥/ ٦٦٠)، رقم (٣٧٨٠).

(٤) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط[1] ويقال إنّ الدنيا أظلمت يوم قتله ثلاثًا وأصابوا إبلًا في عسكر الحسين عليه السّلام يوم قتله فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئًا، وروي أنّ السماء أمطرت دمًا فأصبح كل شيء لهم مملوءًا دمًا اهـ. وعن الهري أنّه لم يبق أحد ممن قتل الحسين إلا عوقب في الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة، وروى سبط ابن الجوزي أنّ شيخًا حضر قتله فعمي فسئل عن سببه فقال رأيت النبيّ ﷺ حاسرًا عن ذراعيه وبيده سيف وبيده نطع وعليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ثم لعنني ثم أكحلني بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى[2].

وهذا يؤكد على أنّ علماء أهل السّنة كانوا ينكرون ما فعله يزيد وغيره من الظَّلَمَة، ولم يكونوا متآمرين متحالفين معهم، ولا راضين بأفعالهم المسيئة المشينة، ولكن سطوة الحكم التي كان هؤلاء يمسكون بها وقفت سدًّا في وجوههم.

(١) العبيط من الدم الخالص الطري، انظر مختار الصحاح، الرازي، (٤١٣).
(٢) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٢٦٨).

موقف الصحابة الكرام رضي الله عنهم من ءال بيت النبيّ ﷺ

لقد ثبت في صحاح أهل السّنة وكتب التاريخ احترام الصحابة الكرام لسيدنا عليٍّ وللحسن والحسين رضي الله عنهم، فقد روى البخاريّ عن شعبة عن محمد ابن أبي يعقوب قال: سمعت ابن أبي نعم قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله عن المحرم، قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ؟ وقد قال النبيّ ﷺ: «**هما**[1] **ريحانتاي من الدنيا**»[2] اهـ.

وروى البخاريّ[3] أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: «كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة فانصرف فانصرفت، فقال: أين لُكَعُ - ثلاثًا - ادعُ الحسنَ بنَ عليّ، فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السّخاب، فقال النبيّ ﷺ بيده هكذا[4]، فقال الحسن بيده هكذا فالتزمه، فقال: «**اللّهم إنيّ أحبُّه فأحبَّه وأحبَّ مَنْ يحبُّه**» قال أبو هريرة: فما كان أحد أحبَّ إليَّ من الحسن بن عليّ بعد ما قال رسول الله ﷺ ما قال» اهـ. لأنّ الرسول دعا للمؤمن الذي يحب الحسن أن يحبّه الله.

وكتب التاريخ تشهد كيف كانت صحبة عليّ لأبي بكر رضي الله عنه، فقد أخرج البخاريّ[5]: «عن ابن أبي مُلَيْكَة عن عُقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر

---

(١) أي الحسن والحسين.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب الحسن والحسين.

(٣) المرجع نفسه، كتاب اللباس، باب السّخاب (القلادة من الطيب والمسك) للصبيان. (٧/ ٢٠٤-٢٠٥).

(٤) بهيئة الـمُـقْبِل عليه.

(٥) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، (٥/ ٣٣)، رقم (٣٧٥٠).

رضي الله عنه، يحمل الحسن وهو يقول:

بـــأبي شــبـيــه بــالــنـبـيّ   لـيــس شــبـيــهًــا بـعــليّ

وعليّ يضحك» اهـ.

وروى النسائيّ[1]: «عن عقبة بن الحارث قال: إنيّ مع أبي بكر حين مرّ على الحسن فوضعه على عنقه ثم قال: بأبي شبيه النبيّ ﷺ لا شبه عليّ. وعليٌّ معه فجعل يضحك».

وصحَّ عن أبي بكر رضي الله عنه أنّه قال لعليٍّ عليه رضوان الله تعالى[2]: «والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحبّ إليَّ أن أصِلَ مِن قرابتي». وهذا منه تنفيذًا لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه البيهقي أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لا يؤمن عبد حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وتكون عترتي أحبّ إليه من عترته وأهلي أحبّ إليه من أهله وذاتي أحبّ إليه من ذاته**»[3].

وقال المتقي الهنديّ[4]: «وفرض - أي أعطى عمرُ - لحسن وحسين خمسة ءالاف لمكانهما من رسول الله ﷺ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين».

وقال أيضًا[5]: «عن جعفر بن محمّد عن أبيه قال: قدم على عمر حُلَلٌ من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس والناس يأتونه فيسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة يتخطيان الناس وليس عليهما من تلك الحلل شىء وعمر قاطب صارٌّ بين عينيه، ثم قال:

---

(١) سنن النسائيّ الكبرى، (٥/ ٤٨)، رقم (٨١٦١).

(٢) صحيح البخاريّ، كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ، (٥/ ٢٥)، رقم (٣٧١٢).

(٣) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (ص/ ٢٣٠).

(٤) كنز العمال، المتقي الهنديّ، (٥/ ٥٩٤)، رقم (١٤٠٥٦).

(٥) كنز العمال، (١٣/ ٦٥٨).

والله ما هنأ لي ما كسوتكم! قالوا: يا أمير المؤمنين! كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما منها شيء، كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى اليمن أن ابعث بحلتين لحسن وحسين وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما».

وهذه الرواية تبيّن عظيم اهتمام سيدنا عمر رضي الله عنه بشأن حفيدَي النبيّ ﷺ، لدرجة أنه كتب كتابًا إلى جهة بعيدة لكسوة سيدَي شباب أهل الجنّة.

وتذكر لنا المصادر ملاطفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين وقد كان طفلًا صغيرًا، فقد أورد ابن حجر هذه الرواية قائلًا[1]: «قال يحيى ابن سعيد الأنصاريّ عن عبيد بن حنين: حدّثني الحسين بن عليّ قال: أتيت عمر وهو يخطب على المنبر فصعِدتُ إليه فقلت: انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك! فقال عمر: لم يكن لأبي منبر. وأخذني فأجلسني معه أقلّب حصى بيدي، فلما نزل انطلق بي إلى منزله فقال لي: مَن علّمك؟ قلت: والله ما علّمني أحد. قال: بأبي لو جعلت تغشانا[2]. قال: فأتيتُه يومًا وهو خالٍ بمعاوية وابن عمر بالباب، فرجع ابن عمر فرجعت معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أرك! قلت: يا أمير المؤمنين، إنّي جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرجعت مع ابن عمر، فقال: أنت أحقّ بالإذن من ابن عمر، فإنما أنبتَ ما ترى في رؤوسنا اللهُ، ثم أنتم. سنده صحيح وهو عند الخطيب» اهـ. وهذا تعبير منه عن عظيم محبته لأهل البيت.

وإن كانت بعض معاملات البشر لا تخلو من خلاف في وجهات النظر، فإنّ هذه الخلافات لا تنفي المحبة والاحترام المتبادل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم وءال بيت النبيّ ﷺ.

فقد روى أهل السّنة والجماعة أحاديث كثيرة في مدح سيّدنا عليٍّ رضي الله عنه، في البخاريّ ومسلم وغيرهما.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٢/ ٧٨).

(٢) أي طلب منه أن يتردد إليه كثيرا.

وليس نقل هذه الأحاديث في كتب أهل السنة تفضُّلًا منهم على سيّدنا عليّ رضي الله عنه، بل هي الأمانة الشرعية والعلمية والدينية التي تميّز بها هؤلاء الحفاظ المشهود لهم بالثقة والعدالة في النقل والرواية، حيث بلّغوا الأمّة ما قاله نبيُّها ﷺ في أصحابه الكرام كلّهم دون تفريق بين أحد منهم.

فهذه رواية صحيحة تجعل حبّ سيدنا عليٍّ رضي الله عنه من علامات الإيمان، وبغضه من علامات النّفاق، فعن زرّ بن حبيش قال: قال عليّ عليه رضوان الله: «**والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبيّ الأميّ ﷺ إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**» رواه مسلم[1].

وقد مشى التابعون ومن بعدهم على خُطا الصحابة الكرام رضي الله عنهم في إكرام ءال بيت النبيّ ﷺ، فقد «أتى عبدُ الله بنُ حسن بن حسين عمرَ بنَ عبد العزيز في حاجة فقال له: إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فإنّي أستحيي من الله أن يراك على بابي»[2] وقد مرّ ذكره.

وقال الهيتميّ أيضًا: «دخلت عليه فاطمة بنت عليّ وهو أمير المدينة، فبالغ في إكرامها، وقال: والله، ما على ظهر الأرض أهل بيت أحبّ إليّ منكم، ولأنتم أحبّ إليّ مِن أهلي»[3].

وفي العودة إلى اعتزال بعض الصحابة القتال مع سيدنا عليّ رضي الله عنه مع أنّه كان صاحب الحقّ في الخلافة، فقد اعتزل بعضهم القتال لعدم وضوح المحقّ من المبطل في ابتداء الأمر، وتورُّعًا عن دماء المسلمين، على حسب ظنهم وإلا فالحق مع عليّ بلا كلام أما من شاركوا ابتداءً فقد كان الأمر عندهم واضحًا وجليًّا.

---

(١) صحيح مسلم، باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق، (١/ ٦٠)، رقم (٢٤٩).

(٢) الصواعق المحرقة، (٢/ ٥٢٣).

(٣) المرجع نفسه، (٢/ ٦٨١).

ولكن موقف اعتزال الفتنة لم يمنع كثيرًا من الصحابة من مبادرة الفريقين بالنّصح والإرشاد، وطلب الصلح وإصلاح ذات البين، واتخذت هذه الفئة الكبيرة من الصحابة الكرام وصالحي التابعين موقفًا منيعًا من عدم الانجرار إلى الشتم والسبّ الذي وقع فيه الذين انزلقوا في متاهات السياسة والمآرب الشخصية لا سيما من الفريق المعادي لسيدنا عليّ رضي الله عنه.

ولزيادة التأكيد نكرر بعض النقول التي سبق أن ذكرناها لفائدتها فعن عامر ابن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: «أمر معاويةُ بنُ أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثًا قالهنَّ له رسول الله ﷺ فلن أسُبَّهُ، لأنْ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليَّ من حُمْر النَّعَم. سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ رضي الله عنه: يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه لا نبوّة بعدي»**، وسمعته يقول يوم خيبر: **«لأعطينَّ الراية رجلًا يحبّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّهُ اللهُ ورسولُهُ»**، قال: فتطاولنا لها فقال: «ادعوا لي عليًّا»، فأُتِيَ به أرمد، فبصق في عينه ودفع الرّاية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[1]، دعا رسول الله ﷺ عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: **«اللّهم هؤلاء أهلي»** رواه مسلم[2].

فنلاحظ من هذا الحديث أنّ هذا الصحابيَّ الجليلَ رفض دعوة معاوية لشتم عليٍّ رضي الله عنه، وهذه الدعوة خطأ جسيم، لِما رواه الحاكم أنّ أمّ المؤمنين السيّدة أمّ سلمة رضي الله عنها قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من سبَّ عليًّا فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبّ اللهَ تعالى»**[3]، أي أن ذنبه كبير جدًّا.

---

(١) سورة ءال عمران، الآية: ٦١.

(٢) صحيح مسلم، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، (٧/ ١٢٠)، رقم (٦٣٧٣).

(٣) المستدرك على الصحيحين، ذكر إسلام أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، (٣/ ١٣٠)، رقم (٤٦١٦).

وقد تكرّر رفض الصحابة الكرام شتمَ عليٍّ رضي الله عنه، فهذا سهل بن سعد رضي الله عنه يرفض شتم عليّ، ويستعصي على محاولة الأمير الأمويّ الذي أراد أن يحتال عليه ليشتم عليًّا بأحبّ كنية إليه:

فعن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «استُعْمِلَ على المدينة رجل من ءال مروان، قال: فدعا سهلَ بن سعد فأمره أن يشتمَ عليًّا، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعنَ اللهُ أبا التراب! فقال سهل: ما كان لعليٍّ اسمٌ أحبّ إليه من (أبي التراب)، وإن كان ليفرح إذا دُعِيَ بها. فقال له: أخبرنا عن قصته، لِمَ سُمّيَ أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة فلم يجد عليًّا في البيت، فقال: «**أين ابن عمك؟**» قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني فخرج فلم يَقِل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**» فجاء فقال: يا رسول الله ﷺ، هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقّه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «**قم أبا تراب، قم أبا تراب**»[1].

(1) صحيح البخاريّ، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، (١/ ١٢٠)، رقم (٤٤١).

المصاهرات والأنساب بين ءال البيت والصحابة

إذا ذكرنا هذا الأمر بشكل سريع فسيتبيّن معنا أن المصاهرات والأنساب بين ءال البيت والصحابة خصوصًا ءال أبي بكر وءال الخطاب وءال الزبير، هي كثيرة جدًّا تذكرها عدّة مصادر عند أهل السنة وغيرهم ومن ذلك:

- زواج النبيّ عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، ومن السيدة حفصة بنت الفاروق عمر رضوان الله عليهما.
- زواج السيدة فاطمة الزهراء عليها رضوان الله من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.
- زواج السيدتين رقية وأم كلثوم ابنتي النبيّ ﷺ الواحدة بعد الأخرى من عثمان ابن عفان رضي الله عنه.
- زواج أم كلثوم بنت عليّ رضي الله عنه من عمر بن الخطاب عليه رضوان الله تعالى. وإنّ تزويج عليّ ابنته لعمر رضي الله عنه، لا يدلّ على عمق العلاقة ومتين المحبة بين الطرفين فحسب، بل يدلّ على أن عليًّا رضي الله عنه يرى أنّ الفاروق هو من أفضل الرجال الذين يستحقون أن تكون حفيدة رسول الله ﷺ زوجة لأحدهم[1].

---

(١) فإن قال قائل بأن الصحابة كفروا وارتدوا بعد النبي إلا خمسة وهم: علي والمقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي وعمار ابن ياسر حيث لم يبايعوا عليًا على الخلافة، قيل لهم: فإن كان الأمر كذلك كيف جاز لعلي رضي الله عنه أن يُزوّج ابنته زينب الصغرى -أم كلثوم- لعمر بن الخطاب؟ وكيف سكت أخواها الحسن والحسين وعمها وعم أبيها العباس وأبناء عمومتها من بني هاشم؟ فهل كانوا متساهلين بهتك أعراضهم وتسليم حفيدة رسول الله ﷺ لكافر ليزني بها على زعم القائل؟ حاشاهم. ومن قال: إنهم سكتوا مكرهين كارهين يكون اعتقد فيهم مَنْقَصَة لا يرضى بها أدنى العرب فضلًا عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأكرمها أَرْوَمَة وأفضلها جرثومة وأعلاها نسبًا وأشرفها حسبًا وأعظمها مروءة وحمية وأكثرها نعوتًا سامية، وإن أدنى العرب يبذل نفسه دون عِرْضِه ويقتل دون حُرَمِه ولا تَعُزُّ نفسه على حُرَمه وأهله، فكيف تُثبت أيها المتقوّل=

- سيدنا الحسين الشهيد تزوّج من حفصة بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين، وكانت قبل تحت المنذر بن الزبير بن العوّام، وقيل إنّ الذي تزوّجها هو سيدنا الحسن بن عليّ رضي الله عنهما.
- الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه، تزوّج من أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وقبل وفاة الحسن رضي الله عنه أوصى أخاه الحسين الشهيد بزواجها بعده، فتزوّجها الحسين رضي الله عنه، وولدت له فاطمة.
- فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، تزوّجها المنذر بن عبيدة بن الزبير.
- سكينة بنت الحسين الشهيد، تزوّجها مصعب بن الزبير.
- رقية بنت الحسن رضي الله عنه، تزوّجها عمرو بن الزبير.
- فاطمة بنت الحسين الشهيد، تزوّجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.
- أم الحسن بنت الحسن السبط رضي الله عنه، تزوّجها عبد الله بن الزبير.

= لعليّ رضي الله عنه وابنيه وأهل بيته الجبن والتهاون والخوف وعدم المبالاة في صيانة عرضهم وحفظ شرفهم وعلي هو الشجاع الصنديد ليثُ بني غالب أسد الله في المشارق والمغارب ومثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها أجلاف العرب كيف تنسب لعلي وأهله وقد حماهم الله من ذلك فأذهب عنهم الرجس وكم عُرف في التاريخ وشُهِر في البوادي ممن رؤي أو عُلم بخبره أنه قُتِل دون عرضه وأهل البيت رضي الله عنهم أشجع وأعظم من أن تهتك أعراضهم بأيديهم فثبت بهذا حب علي لعمر وحب عمر لعلي، وأن عليًا زوَّج ابنته لرجل هو من أكمل المؤمنين إيمانا ومن أتقى خلق الله. وإن قال قائل يحتمل أن تكون التي زُفَّت لعمر جنية تصورت بصورة أم كلثوم. قلنا له: وهذا أشنع من الأول وأقبح، ففي هذا الكلام نسبة الزنا للسيدة الطاهرة أم كلثوم بنت علي وفاطمة، وأخت الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين فإن كانت التي زُفَّت لعمر جنية ولم يتمكن عمر من الدخول على أم كلثوم فمن أين جاءت أم كلثوم بولد؟! هل تتهمها بالزنا وأنها حملت من سفاح لا من نكاح؟ ونحن نبرؤها من هذا الافتراء والهراء، ولو كان الأمر كذلك فكيف سكت لها علي رضي الله عنه ولماذا لم يقم عليها حد الزنا؟ رضي الله عنها وعن أبيها وعن أمها وعن زوجها عمر، ثم كيف أثبت الكليني في كتابه فروع الكافي والجزائري في كتابه المسمى الأنوار النعمانية أن أم كلثوم ابنة علي تزوجها عمر بن الخطاب؟ وثبت في كتب التواريخ والسير أن أم كلثوم ولدت لعمر بن الخطاب صبيًا كان يلقب بـِ «ذي الهلالين» فأبوه عمر وجده علي واسمه زيد بن عمر بن الخطاب.

- مليكة بنت الحسن المثنى عليه رضوان الله، تزوّجها جعفر بن مصعب بن الزبير.
- أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر تزوّجها موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم.
- محمد الباقر رضي الله عنه تزوّج أمّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وأمّها أسماء بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر الصدّيق، وولدت له الإمام جعفر الصادق.
- أم حكيم بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر تزوّجها إسحاق بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب.
- كلثم بنت إسماعيل بن عبد الرّحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر تزوّجها إسحاق ابن عبد الله بن زين العابدين بن الحسين الشهيد رضي الله عنهم.

المصاهرات بين الفريقين بشكل مستفيض

إنّ متابعة أواصر النّسب والمصاهرة بين أهل البيت الأعلام والصحابة الكرام تهدف بالدرجة الأولى إلى الوقوف على الصورة المشرقة لجيل الصحابة والتابعين، والتعرّف عن كثب على الأجواء الأخوية والإيمانية التي سادت بينهم في محاولة منّا لتسليط الضوء على هذه الكوكبة المنيرة من المسلمين من المهاجرين والأنصار من صحابة وءال بيت النبيّ ﷺ، وهم من أصحاب الفضل على أمّة القرءان الكريم حيث عن طريقهم انتقلت العقيدة الإسلامية والأحكام وبقية فروع الدّين.

وتهدف تلك المحاولة إلى إضفاء جوّ الأخوّة من جديد بين المسلمين، وتقريب وجهات النظر بين طوائفهم وفرقهم مِن غير المشبهة والمعتزلة ونحوهم، ومحاربة الغلو والتطرف الذي أُقحم في التاريخ الإسلاميّ، والدعوة إلى منهج وسط معتدل مستند إلى الحقائق التاريخية لتقويم وفهم أحداث تلك الحقبة من التاريخ.

ومن خلال متابعة أقسام هذا الجزء من الكتاب يتضح أننا لا نعني بالنّسب من حيث كونه نسبًا مجردًا وإنّما مدى ارتباط تلك الأنساب والمصاهرات بين الصحابة وءال بيت النبوة، ولم تؤثر الفتن والحروب التي حدثت على تلك المصاهرات، ما يعطي فكرة واضحة واستنتاجًا ثمينًا عن طبيعة الأحداث ومعرفة أسبابها وحقيقة حجمها بعيدًا عن الغلو والتهويل، وسيتم تسليط الضوء على أواصر النسب والمصاهرة بين الفريقين الكريمين سواء قبل الفتنة وبعدها حتى نهاية العصر العباسيّ الأول، ومحاربة النّفاق والتعصب والأفكار الدخيلة على التراث الإسلاميّ، وفضح التيارات الخبيثة التي بثّها بعض المستشرقين في بعض العقائد الدينية والروايات التاريخية، ما يؤسس قاعدة راسخة لمساعي التقريب بين المسلمين.

وفي هذا الجزء من بحثنا حاولنا جمع ما أمكننا جمعه من تلك المصاهرات

المباركة بين أهل البيت والصحابة وأبنائهم، من أمّهات المصادر المعتمدة، ولتسهيل متابعة تلك المصاهرات، تم تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء:

١. المصاهرات في عصر الصحابة.

٢. المصاهرات في عصر أبناء الصحابة.

٣. المصاهرات في عصر التابعين.

والجدير بالذكر أنّ المصاهرات التي تم تثبيتها لا تمثّل إلا جزءًا من مصاهرات ذلك العصر المبارك، كما أنّ المصاهرات لم تتوقف بعد حدوث الفتن والصراعات في فترات الاضطرابات، وبالذات بين البيوت الأربعة: الأمويين، والعلويين (أي المنتسبين لسيدنا عليّ رضي الله عنه)، والزبيريين، والعباسيين، إضافة إلى البيوت الأخرى، كالبكريين والعمريين والأنصار والمخزوميين وغيرهم.

المصاهرات في عصر الصحابة

لقد شهد عصر الصحابة مصاهرات كثيرة بين أهل البيت والصحابة من المهاجرين والأنصار، ما يعطي صورة صادقة عن عمق الإيمان والأخوّة والمحبة بين أفراد وجيل النّبوة، ويتقدّم تلك المصاهرات: مصاهرات النبيّ ﷺ لنساء المهاجرين والأنصار، ومصاهرات أهل البيت مع البكريين والعمريين والعثمانيين والأمويين والزبيريين والأنصار وغيرهم، وسنرى أنّ الصورة المظلمة التي يريد رسمها البعض بين أهل البيت والصحابة الكرام لا أصل لها بالمرّة.

مصاهرات أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

تزوّج الصّديق رضي الله عنه السيدةَ أسماء بنت عميس بن معدّ بن تيم الخثعمية عليها رضوان الله تعالى، وأمّها خولة بنت عوف بن زهير من جرش.

وعن محمّد بن سعد قال[1]: «أسلمت أسماء بنت عميس قبل دخول النبيّ ﷺ دارَ الأرقم بمكة وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له هناك عبدَ الله ومحمّدًا وعونًا، ثم قُتِل عنها جعفر بمؤتة شهيدًا سنة ثمانٍ من الهجرة».

وروى المقريزيّ[2] أنّه: «دخل ﷺ على أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب فقال: «**يا أسماء، أين بنو جعفر؟**» فجاءت بهم إليه، فضمّهم إليه وشمّهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقالت: أي رسول الله ﷺ، لعلّه بلغك عن جعفر شيء؟ فقال: «**نعم، قُتِلَ اليوم**» فقامت تصيح، واجتمع إليها النساء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «**يا أسماء، لا تقولي هجرًا[3]، ولا تضربي صدرًا**». وخرج حتى دخل

---

(١) الطبقات الكبرى، (٨/ ٢٨٠).

(٢) إمتاع الأسماع بما للنبيّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزيّ، (١/ ٣٤٣).

(٣) مختار الصحاح، الرازي، مادة ه ج ر: «الكلام مَهْجُورٌ، وبه فسر مجاهد وغيره قوله تعالى:=

على ابنته فاطمة عليها السلام وهو يقول: واعماه! وقال: «على مثل جعفر فلتبكِ الباكية»! ثم قال: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد شُغِلُوا عن أنفسهم اليوم**».

وأكمل المقريزيّ روايته فقال: وقد روي أنّ النبيّ ﷺ لما نعى لأسماء جعفرًا، مسح على رأس عبد الله بن جعفر، وعيناه تهرقان الدموع حتى لحيته تقطر، ثم قال: «**اللّهمّ إنّ جعفرًا قد قدّم إلى أحسن الثواب، فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحدًا من عبادك في ذريته**» ثم قال: «**يا أسماء، ألا أبشّرك؟** قالت: بأبي أنت وأمّي. قال: «**فإنّ الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنّة**»، قالت: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! فأعلم الناس ذلك» اهـ.

وفي ترجمة أسماء بنت عميس رضي الله عنها يقول ابن حجر: «كانت أخت ميمونة بنت الحارث زوج النبيّ ﷺ لأمّها، وأخت جماعة من الصحابيات لأبٍ أو أمّ أو لأبٍ وأمّ يقال: إنّ عدتهن تسع. وقيل عشر لأمّ وست لأمّ وأب. قال أبو عمر: كانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك أولاده، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر فولدت له محمدًا، ثم تزوّجها عليّ فيقال: ولدت له ابنه عونًا. وقد ذكر ابن سعد أنها ولدت لعليّ عونًا ويحيى، روى عنها ابنها عبد الله بن جعفر، وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عباس وهو ابن أختها لبابة بنت الحارث، وابن أختها الأخرى عبد الله بن شداد بن الهادي، وحفيدتها أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب وءاخرون، وكان عمر يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره، ويقال إنّها لما بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها حتى شخب ثدياها دمًا. وفي الصحيح عن أبي بردة عن أسماء أنّ النبيّ ﷺ قال لها: «**لكم هجرتان وللناس هجرة واحدة**» وأخرجه ابن سعد من مرسل الشعبيّ قالت أسماء: يا رسول الله ﷺ، إنّ رجالًا يفخرون علينا ويزعمون أنّا

= ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان) أي باطلًا» اهـ. (١/ ٧٠٥).

لسنا من المهاجرين الأولين! فقال: «**بل لكم هجرتان**» ثم ذكر من عدّة أوجه أنّ أبا بكر الصديق أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس، وأخرجه ابن السكن بسند صحيح عن الشعبيّ قال: تزوّج عليٌّ أسماءَ بنتَ عميس فتفاخر ابناها محمد ابن جعفر ومحمد بن أبي بكر، فقال كلٌّ منهما: أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك! فقال لها عليٌّ: اقضي بينهما. فقالت: ما رأيت شابًّا خيرًا من جعفر، ولا كهلًا خيرًا من أبي بكر. فقال لها عليٌّ: فما أبقيت لنا؟»[1] اهـ. وعند ابن سعد زيادة: «فقال عليّ: ما تركتِ لنا شيئًا ولو قلتِ غيرَ الذي قلتِ لمقتُّكِ، فقالت أسماء: إنّ ثلاثة أنت أخسُّهم[2] لخيار»[3] اهـ.

إذن فقد تزوّجت أسماءُ شهيد أهل البيت الثاني في حياة النبيّ ﷺ جعفر ابن أبي طالب الذي استُشْهِد بمؤتة، ثم تزوجت بعده سيّدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه وبقيت عنده حتى وفاته ثم تزوجت الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولقد كان لأولاد أسماء من أزواجها الثلاثة شأن مهم في التاريخ الإسلاميّ.

وإذا أردنا تأمّل مصاهرات إمام أهل البيت سيّدنا عليّ هو وأولاده مع بقية الصحابة نرى صورة مشرقة ومنيرة من صور الأخوّة الإسلامية، فهو - أي سيدنا عليّ - صهر رسول الله ﷺ في ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وبنت بنته أُمامة بنت زينب، وأمامة هذه أموية هاشمية أبوها أبو العاص بن الربيع الأمويّ وأمّها زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبزواج عليّ من أسماء بنت عميس، كان قد خلفَ أبا بكر في أهله، وكان محمّد بن أبي بكر ربيبَهُ ومن أنصاره وأتباعه وقد ولّاه مصر في خلافته، وكان الإمام عليٌّ يقول عنه: «محمّد ابني من صلب أبي بكر الصديق»، كما قَبِلَ هدايا الخليفة أبي بكر ومنها سبايا حروب الرّدة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، (٧/ ٤٨٩ - ٤٩٠).

(٢) أي أقلهم.

(٣) الطبقات الكبرى، (٨/ ٢٨٥).

وهما خولة الحنفية والصهباء التغلبية، وفي ذلك إقرارٌ من إمام أهل البيت بشرعية حروب الردة وشرعية خلافة الصدّيق.

كما زوّج سيّدنا عليّ ابنته أم كلثوم لعمر الفاروق، وأنجبت له زيدًا ورقية وكانت له خير عون على أعباء الخلافة.

وكان سيّدنا عليّ عديلًا لسيدنا عثمان حيث تزوّجا بنات رسول الله ﷺ، ثالثهما أبو العاص بن الربيع الأمويّ.

وكان سيّدنا عليّ كذلك وزيرًا ومستشارًا مخلصًا لأخوته الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه: أبي بكر وعمر وعثمان، وفي الصحائف التالية نشهد صورًا مشرقة أخرى من المصاهرات في عصر أبناء الصحابة وعصر التابعين، تثبت أنّ الإيمان والأخوة بين المسلمين أقوى من كلّ الدسائس ومؤامرات التشويه التي تعرَّض لها تاريخنا المجيد وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، ولمن كان له القرءان الكريم هاديًا والهدي النبويّ مرشدًا، الذي يؤكّد أن جيل الصحابة هو خير الأجيال في الأمّة المحمّدية وأنّ أمّة القرءان خير أمّة أُخرجت للناس.

مصاهرات عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، تزّوجها أمير المؤمنين عمر الفاروق وهي صبيّة فلم تزل عنده إلى أن قُتِلَ، وولدت له زيد بن عمر ورُقِية بنت عمر. يعني أنّ جدّهما رسول الله ﷺ.

وهنا وقفة لا بدّ منها، فقد أقرّ بهذا الزواج كافة أهل التواريخ والأنساب وغيرهم، إذ يقول المؤرخ الإمامي أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه، تحت ذكر حوادث ١٧ هـ من خلافة عمر الفاروق: «وفي هذه السّنة خطب عمر إلى عليّ بن أبي طالب، أمَّ كثلوم بنتَ عليّ، وأمّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال عليّ: إنّها صغيرة! فقال: إنّي لم أرد حيث ذهبتَ، لكنني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري**» فأردتُ أن يكون لي

سبب وصهر برسول الله ﷺ، فتزوّجها وأمهرها عشرة ءالاف دينار[1].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه: «أنّ عمر بن الخطاب خطب إلى عليّ بن أبي طالب ابنته أم كلثوم، فقال عليّ: إنّما حبست بناتي على بني جعفر. فقال عمر: أنكحنيها يا عليّ فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال عليّ: قد فعلت. فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر، فقال: رفئوني[2]. فرفؤه وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بابنة عليّ بن أبي طالب، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إنّ النبيّ ﷺ قال: **«كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي»**[3]. وكنت صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضًا.

وروى الطبريّ قائلًا[4]: «وخرّج الدولابيّ وخرّج ابن سمان معناه ولفظه مختصرًا: أنّ عمر قال لعليّ: إنّي أحبّ أن يكون عندي عضو من أعضاء رسول الله ﷺ، فقال له عليّ: ما عندي إلا أمّ كلثوم، وهي صغيرة. فقال: إن تعش تكبر! فقال: إنَّ لها أميرين معي. قال: نعم، فرجع عليّ إلى أهله وقعد عمر ينتظر ما يردّ عليه. فقال عليٌّ: ادعوا الحسن والحسين، فجاءا فدخلا فقعدا بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لهما: إنّ عمر قد خطب إليَّ أختكما، فقلت له: إنَّ لها معي أميرين، وإنّي كرهت أن أزوّجها إيّاه حتى أؤامركما. فسكت الحسين وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أبتاه، مَنْ بعدَ عمرَ صحب رسولَ الله ﷺ وتوفّي وهو عنه راضٍ، ثم ولي الخلافة فعدل؟ قال: صدقت يا بني، ولكن كرهت أن أقطع أمرًا دونكما. ثم ذكر معنى ما تقدم».

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ، (٢/ ١٥٠).

(٢) رفئوني: أي هنئوني بالزواج، تعبيرًا عن فرحه بهذه المصاهرة.

(٣) المعجم الأوسط، الطبرانّي، (٤/ ٢٥٧)، رقم (٤١٣٢). المستدرك، (٣/ ١٥٣)، رقم (٤٦٨٤).

(٤) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ١٦٩ – ١٧٠).

وذكر ذلك الطبريّ[1]، وابن الأثير[2]، وابن سعد[3]، إضافة إلى أصحاب الحديث كالبخاريّ والحاكم والنَّسائيّ وأبي داود وغيرهم، وأقرّ بذلك الزواج الكلينيّ[4]، والطوسي[5]، وتذكر رواية أخرى للطوسّي[6] عن الصادق عن أبيه الباقر أنّه قال: «ماتت أمّ كلثوم بنت عليّ وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة لا يدري أيّهما هلك قبل، فلم يورث أحدهما من الآخر وصلى عليهما جميعًا»، ولقد استدلّ بهذا الزواج فقهاء الإمامية على أنّه يجوز نكاح الهاشمية من غير الهاشميّ، فكتب الحلّيّ[7]: ويجوز نكاح الهاشمية غير الهاشميّ والعربية العجميّ والحرّة العبد، وكتب زين الدين العامليّ[8]: «وزوّج النّبيّ ابنته عثمان، وزوّج ابنته زينب بأبي العاص ابن الربيع وليسا من بني هاشم، وكذلك زوّج عليٌّ ابنتَه أمَّ كلثومٍ من عمر، وتزوّج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين، وتزوّج مصعبٌ ابن الزبير أختها سكينة وكلّهم من غير بني هاشم» اهـ.

ثم خَلَفَ على أم كلثوم بعد وفاة عمر رضي الله عنه عون بن جعفر ثم توفّي، ثم خلف عليها أخوه محمد بن جعفر فتوفي عنها، فخلف عليها أخوه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بعد أختها زينب بنت عليّ بن أبي طالب، فقالت أم كلثوم: إنّي لأستحي من أسماء بنت عميس، أنّ ابنيها ماتا عندي وإنّي لأتخوّف على هذا الثالث، فهلكت عنده ولم تلد لأحد منهم شيئًا.

روى الطبريّ[9]: «قال أبو عمر: ماتت أمّ كلثوم وابنها زيد بن عمر في وقت

---

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، (٥/ ١٦).

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (٣/ ٢٩).

(٣) الطبقات الكبرى، (ص/ ٣٤٠).

(٤) فروع الكافي، (٥/ ٣٤٦)، (٦/ ١١٦).

(٥) الاستبصار، الطوسّي، (٣/ ٣٥٣).

(٦) تهذيب الأحكام، الطوسّي، (٩/ ٢٦٢).

(٧) المسمى شرائع الإسلام في الفقه الجعفريّ، الحلّيّ.

(٨) المسمى مالك الأفهام شرح شرائع الإسلام، زين الدين العاملّي، (ج ١).

(٩) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ١٦٩ - ١٧٠).

واحد، وكان زيد قد أُصيب في حرب بني عديّ ليلًا، فخرج ليصلح بينهم فضربه رجل منهم فشجّه وصرعه، فعاش أيامًا ثم مات هو وأمّه في وقت واحد، وصلّى عليهما ابن عمر، قدَّمه الحسن بن عليّ، وقدّم زيد على أمّه مما يلي الإمام» اهـ.

مصاهرات عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال أحمد بن عبد الله الطبريّ[١]: «كانت رقيّة رضي الله عنها - أي بنت النبيّ ﷺ - تحت عتبة بن أبي لهب، وأختها أمّ كلثوم تحت أخيه عتيبة فلما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٢] قال لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمّد! ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، فتزوج رقيةَ عثمانُ بنُ عفان رضي الله عنهما بمكة، وهاجر بها الهجرتين إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت ذات جمال رائع، فعن أسامة بن زيد قال: بعثني رسول الله ﷺ بصحفة فيها لحم إلى عثمان، فدخلت عليه فإذا هو جالس مع رقيّة ما رأيت زوجًا أحسن منهما، فجعلت مرّة أنظر إلى عثمان ومرّة أنظر إلى رقية، فلما رجعت إلى رسول الله ﷺ قال: «**دخلت عليهما؟**» قلت: نعم. قال: «**هل رأيت زوجًا أحسن منهما؟**» قلت: لا، وقد جعلت مرّة أنظر إلى رقيّة ومرّة أنظر إلى عثمان». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله أوحى إليّ أن أزوّج كريمتيَّ عثمان بن عفان**» خرّجه الطبراني في معجمه، وخرّجه خيثمة بن سليمان عن عروة بن الزبير، وزاد بعد قوله: «**كريمتيّ يعني رقية وأم كلثوم**» اهـ.

وقال الطبريّ أيضًا[٣]: «عن سعيد بن المسيّب قال: أمّ عثمان من رقيّة بنت رسول الله ﷺ، وأمّت[٤] حفصة بنت عمر من زوجها، فمرّ عمرُ بعثمان رضي الله عنهما فقال: هل لك في حفصة؟ وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه، فذكر ذلك عمر للنبيّ ﷺ فقال ﷺ: «**هل لك في خير من ذلك؟ أتزوج أنا حفصة، وأزوّج عثمان خيرًا منها: أم كلثوم**». خرّجه أبو عمر وقال: حديث صحيح. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ١٦٢ - ١٦٣).

(٢) سورة المسد، الآية: ١.

(٣) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ١٦٥).

(٤) أمت يعني تأيمت أي خلت من الزوج بموت أو طلاق.

«**أتاني جبريل فأمرني أن أزوج عثمان ابنتي**». وعن أبي هريرة قال: لقي النبيُّ ﷺ عثمانَ عند باب المسجد فقال: «**يا عثمان، هذا جبريل أخبرني أنّ الله تعالى قد أمرني أن أزوّجك أمّ كلثوم بمثل صداق رقيّة، وعلى مثل صحبتها**». خرّجه ابن ماجه القزوينيّ والحافظ أبو القاسم الدمشقيّ» اهـ.

ثم كانت السّيدة نائلة بنت الفرافصة، ءاخر زوجة لعثمان، وهي التي كانت مع زوجها عثمان رضي الله عنه يوم الدّار، ودافعت عنه، ووقته من السيف الذي ضربوه به بيدها، فجرحت يدها وقطعت أصابعها، ولذلك سمّيت الزوجة البارّة رضي الله عنها، روت السيدة نائلة عن السيدة عائشة أم المؤمنين بعض الأخبار، منها أنّها قالت: «أَمَّتنا عائشة في صلاة فقامت وسطنا»[1].

مصاهرات عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ: وهي الزهراء البتول زوج أبي الحسنين المرتضى، زوّجها له رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة، بعد أن خطبها منه. وكان لأبي بكر الصدّيق دور في تشجيع ومساعدة عليّ في خطبتها وزواجها، حيث توسّط له في زواجه من السيدة فاطمة، وساعده فيه كما كان أحد الشهود على نكاحه بطلب من رسول الله ﷺ، كما يرويه أبو جعفر الطوسيّ[2] وكذلك ذكره المجلسيّ[3]، ويروي ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه قال: أصدق عليّ درعًا من حديد وجرد برد، وعن عامر قال: قال عليّ: لقد تزوّجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح بالنهار، ومالي ولها خادم غيرها.

وعن محمّد بن عمر، قال: وولدت لعليّ الحسنَ والحسينَ وزينبَ وأمّ كلثوم

(١) الطبقات الكبرى، (ج ٨).
(٢) الأمالي، (١/ ٣٨).
(٣) الشيعة وأهل البيت، إحسان ظهير، (ص/ ٧٣). جلاء العيون، محمد باقر المجلسي، (١/ ١٦٩).

بني عليّ أي أن أسماء بناتها تشابه أسماء أختيها زينب وأم كلثوم رضي الله عنهم.

وعن الزهريّ: أنّها عاشت بعد رسول الله ﷺ ستّة أشهر، وقال محمد بن عمر: توفيت فاطمة ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها، وعن عمر بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن زين العابدين عن ابن عباس قال: فاطمة أول مَنْ جُعِلَ لها النعش، عملته لها أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكانت قد رأته يُصنع بأرض الحبشة.

وعن عمرة بنت عبد الرّحمن قالت: صلّى العبّاس بن عبد المطّلب على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ونزل في حفرتها هو وعليّ والفضل بن عباس رضي الله عنهم، وعن الشعبيّ قال: صلّى عليها أبو بكر الصدّيق، وعن حمّاد عن إبراهيم قال: صلّى أبو بكر الصدّيق على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فكبّر عليها أربعًا، وعن عائشة رضي الله عنها أنّ عليًّا دفن فاطمة ليلًا. وفي رواية أخرى أنّ عليًّا أيضًا صلّى عليها قبل دفنها، ويبدو أنّ المسلمين صلّوا عليها بعد أن صلّى عليها أهلها في البيت ثم صلّوا عليها مع عليّ زوجها قبل الدفن، وذلك أنّها بضعة الرسول ﷺ ولمنزلتها ومحبتها عند الصحابة وأهل البيت، ولكونها أحبّ بنات النبيّ إليه وءاخرهنّ لحوقًا به فلم يبق بعدها غير أحفاده عليه الصلاة والسلام، أبناء فاطمة، وأُمامة بنت زينب التي تزوّجها عليّ بعد وفاة فاطمة رضي الله عنهما، وقد خطب عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله تعالى جويرية بنت أبي جهل بعد أن أسلمت وبايعت النبيّ ﷺ، فجاء بنو المغيرة المخزوميّ إلى رسول الله ﷺ يستأمرونه في ذلك فلم يأذن لهم أن يزوّجوه، وقال: «**لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدوّ الله في بيت واحد، وإنّما فاطمة مني يسوءني ما ساءها**»، ورواية البخاريّ[1]: «عن ابن شهاب حدّثه أنّ عليّ ابن حسين حدّثه أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتلَ حسين

---

(١) صحيح البخاريّ، كتاب فرض الخمس، باب ما ذكر من درع النبيّ ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، (٤/ ١٠١ - ١٠٢)، رقم (٣١١٠).

ابن عليّ رحمة الله عليه، لقيه المسور بن مخرمة فقال له: هل لك إليّ من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا، فقال له: فهل أنت مُعطيَّ سيف رسول الله ﷺ، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليهم أبدًا حتى تبلغ نفسي، إنّ عليَّ بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، فسمعتُ رسول الله ﷺ يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: «**إنّ فاطمة منّي، وأنا أتخوف أن تُفْتَنَ في دينها**»، ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إيّاه، قال: «**حدّثني فصدقني ووعدني فوفى لي وإنّي لست أحرّم حلالًا، ولا أحلّ حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدًا**» اهـ.

وقد أراد رسول الله ﷺ بذلك إهانة أئمة الكفر والطغيان وعدم تكريمهم حتى بالمصاهرة، وخصوصًا أنّ أبا جهل قد قُتِل في بدر ومات على الكفر، وأنّ خطبة عليّ لابنته تسوء فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ليس غَيْرَةً كما توهّم البعض، وإنما غضبًا لله ولرسوله، أن يُجعل اسم النبيّ مقترنًا باسم أبي جهل، وقد تراجع عليّ وقال: سمعًا وطاعة. شأن بقية أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام في الامتثال للأمر ولا علاقة لذلك بمبدأ التعدّد.

ولقد كان المسلمون بعد رحيل السيدة فاطمة رضي الله عنها أوفياء لها ولأبنائها وأحفادها، وحظي أبناء عليّ من فاطمة بمنزلة خاصة، وكان لهم دور مميز في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية بين المسلمين، ولم تؤثر الصراعات السياسية والتنافس على الحكم على تلك المنزلة العظيمة.

وإذا كان المنهج الإسلاميّ لا يؤيد التفسير الأسريّ أو الطائفيّ لوراثة الإمامة والخلافة، ولا يعطي أولوية أو أحقية شرعية إلا للرجال الأكثر تقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] واتّباعًا للنبيّ ﷺ وأصحابه، وأنّ مبدأ الشورى هو الحَكَم فيمن يصلح للخلافة، فإنّ الأثر السياسيّ لتلك المفاضلة والتنافس بين

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

بيوت قريش المعروفة - بعد الخلافة الراشدة - كان أحد أسباب ذلك الصراع، والمطالبة بالخلافة لقيادة الأمة.

ومع ذلك فلم يكن هذا الصراع يمثّل إلا مساحة صغيرة في التاريخ الإسلاميّ، مقارنة بالأثر الحضاريّ والعلميّ والاجتماعيّ والجهاديّ الذي بناه جيل الصحابة وأهل البيت ومَن جاء بعدهم من التابعين من الأئمة والعلماء والحكّام والقادة المسلمين، ولم يظهر الخطر الحقيقيّ لمبدأ وراثة الخلافة والملك الذي جاء به الأمويون وعمل به العباسيون والعلويون أيضًا، إلا بعد بروز ظاهرة الغلوّ والدسّ والتزييف في الأخبار والروايات لتشويه صورة التاريخ الإسلاميّ، وطمس معالمه المضيئة، التي كان من أبرزها أخوة أهل البيت والصحابة والتعايش البنّاء بين المسلمين عمومًا سواء بيوت قريش أو المهاجرين والأنصار أو الموالي والعرب وغيرها من الصور المشرقة.

استغلال قضية فَدَك

من أشهر ما استُغِلّ في سيرة السيدة فاطمة رضي الله عنها قضية فَدَك، وزعم اغتصاب الخليفة الأول أبي بكر الصديق عليه رضوان الله لحقوق أهل البيت ومصادرتها لإضعافهم وتوهين دورهم في إدارة الدولة الإسلامية بعد النبيّ ﷺ.

فما حقيقة تلك القضية وما أبعادها؟

لقد فنّد العلماء تلك الروايات المدسوسة، وأبانوا الحقّ في هذه القضية وغيرهما من قضايا الخلاف المزعوم وأوضحوا أواصر الأخوّة والصلات الطيبة بين أهل البيت والصحابة عمومًا.

وسنحاول في هذه العجالة أن نورد بعض ما ذكر في قضية فَدَك في الأحاديث الصحيحة: فقد روى البخاريّ[1] وغيره عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أمّ المؤمنين

(١) صحيح البخاريّ، كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس، (٤/ ٩٦)، رقم (٣٠٩٢ - ٣٠٩٣).

رضي الله عنها أخبرته: أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ، أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَث، ما تركنا صدقة**» وفي رواية أخرى للبخاريّ[1]: فقال أبو بكر: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «**لا نورث، ما تركنا صدقة، إنّما يأكل ءال محمّد في هذا المال**» والله لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي اهـ - فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أَزيغَ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ وعباس، فأما خيبر وفَدَك فأمسكها عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. قال: فهما على ذلك إلى اليوم اهـ.

وروى البخاريّ أيضًا[2]: عن مالك بن أوس قال: «أنا سمعت عائشة رضي الله عنها زوج النبيّ ﷺ تقول: أرسل أزواج النبيّ ﷺ عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثُمُنَهُنَّ مما أفاء الله على رسوله ﷺ، فكنتُ أنا أردُّهُنَّ فقلت لهن: ألا تتقين الله؟ ألم تعلمن أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**» - يريد بذلك نفسه - **إنما يأكل ءال محمد ﷺ في هذا المال**» فانتهى أزواج النبيّ ﷺ إلى ما أخبرتهن. قال: فكانت هذه الصدقة بيد عليّ منعها عليٌّ عباسًا فغلبه عليها، ثم كان بيد حسن بن عليّ، ثم بيد حسين بن عليّ، ثم بيد عليّ بن حسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها، ثم بيد زيد بن حسن وهي صدقة رسول الله ﷺ حقًّا» اهـ.

أما الخلاف الذي كان رأي أبي بكر ورأي فاطمة، فليس في نص الحديث أو

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (٥/ ١١٥)، رقم (٤٠٣٦).
(٢) المرجع نفسه، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، (٥/ ١١٥)، رقم (٤٠٣٤).

إيقاف تنفيذه، ولكنها سألته، بعد أن ذكّرها بقول النبيّ ﷺ فيما ترك وأنّه صدقة، أن يجعل زوجها ناظرًا على هذه الصدقة - أي الوقف - فلم يجبها إلى ذلك لحرصه أن يفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ في حياته كإمام، فعتبت عليه بسبب ذلك، أما منتهى فَدَك[1]، فقد أوكلها عمر إلى عليّ والعباس ليعملا فيها ما عمل رسول الله ﷺ وأبو بكر ثم عمر، ثم تركها العباس إلى عليّ، بإشارة ابنه عبد الله بين يدي عثمان، كما راوه أحمد في مسنده.

تلك قضية فَدَك مختصرة ولكن بعض المغالين كبّروها وضخّموها وجعلوها رمزًا لاغتصاب حقوق أهل البيت ومحاربتهم واستغلّوها للطعن، ولتأصيل الصّراع المزعوم بين الصحابة وأهل البيت، ولكن أنّى لهم ذلك؟

وبعد أن ذكرنا بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في قضية فَدَك، نستعرض الإطار التاريخيّ لها:

بعد أن ذكّر أبو بكر الصدّيق السّيدة فاطمة رضي الله عنهما ما قاله النبيّ عليه الصلاة والسلام في أمر ما تركه من مال، تراجعت السيدة فاطمة، بل ويروي ابن الميثم البحرانيّ في شرح نهج البلاغة، أنها رضيت بذلك، وكان عتبها على أبي بكر أن يجعل زوجها ناظرًا على هذه الصّدقة ومديرًا لشؤونها لأنّها وقف يخصّ أباها ويخصّها، وأنّ قناعة السّيدة فاطمة ورضاها بذلك هو المتوقّع من واحدة من سيدات نساء العالمين وبنت سيد المرسلين، وتذكر الروايات أنّ أبا بكر قال: إنّ لكِ ما لأبيكِ، كان رسول الله ﷺ يأخذ من فَدَك قوتكم ويقسم الباقي، ويحمل منه في سبيل الله ولك عليَّ أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به[2].

ولكن بعض النّاس لم يعجبهم أن ترضى السيدة فاطمة بهذا القضاء بتلك

---

(١) فَدَك: قرية بخيبر، وقيل بناصية الحجاز، فيها عين ونخل، وهي مما أفاء الله على نبيّه ﷺ. لسان العرب، ابن منظور، (١٠/ ٤٧٣).

(٢) شرح نهج البلاغة، (٥/ ١٠٧). شرح الدرة النجفية، الدنيلّي، (ص/ ٣٢٢).

السهولة، فكتبوا بخصوص ذلك كتبًا عدة ملؤها بالطعن بأصحاب رسول الله ﷺ واتّهامهم بالظّلم والجور على أهل البيت في حين أنّ أهل القضية لم يتكلّموا لا بقليل ولا بكثير، بل إن بعض المصادر نقلت أنّ أبا بكر لم يكتفِ بالكلام فقط، بل أعقبه بالعمل كما يروي ابن الميثم والدنيليّ وابن أبي حديد، والمؤلّف المعاصر فيض الله علي نقي، أما د. علي شريعتي الكاتب المشهور، فيعلّق على قضية فدك ناقدًا التفكير المغالي في النظر لأحداث التاريخ، قائلًا: «إنّ المعركة المثارة بين الشيعة والسنّة، هي معركة التسنّن السلطانيّ والتشيّع الصفويّ، وهي مثارة من أجل إلهاء المسلمين عن معركة الإسلام ضدّ الاستعمار الغربيّ، والإسلام ضدّ الصهيونية، إنّها معركة تطرح قضية اغتصاب فَدَك لتلهي المسلمين عن اغتصاب فلسطين»[1] اهـ.

إنّ أبا بكر كان يأخذ غلّة فَدَك، فيدفع إلى أهل البيت منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي للصدقات، كما أوصى النبيّ ﷺ، ونُفّذَت الوصية في عهد عمر وعثمان وعليّ - نفسه أيضًا -. فالخلفاء الراشدون اتفقوا على ضرورة تنفيذ وصية رسول الله ﷺ وليس أبو بكر فحسب، كما يحاول أن يدّعي البعض حتى أصبح ذلك الرّأي الشاذّ شائعًا مع الأسف، إلّا مَن نجا مِن لوثة الغلوّ والحقد على الصحابة. فالرواية التي ردّدوها حسدًا ونقمة على الصدّيق رواها الكلينيّ في الكافي عن الإمام محمد الباقر عن رسول الله ﷺ، والكافي تعدّه الإمامية من أصحّ الكتب، فيروي الكلينيّ عن حماد ابن عيسى عن القداح عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنّة، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا ولكن ورّثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر**»[2]، وعن الإمام الصادق قال: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهمًا ولا

(١) هكذا تكلّم عليّ شريعتي، فاضل رسول، (ص/ ٥١).
(٢) أصول الكافي، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، (١/ ٣٤).

دينارًا وإنما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم»[1]، ويروي الصدوق روايتين تؤيد هذه الروايات وتؤكدها.

وإذا افترضنا جدلًا، أن أرض فَدَك كانت ميراث رسول الله ﷺ، فلم تكن السيدة فاطمة وريثة وحيدة لها، بل كانت ابنتا الصدّيق والفاروق وارثتين أيضًا. ولم يورث الصدّيق والفاروق ابنتيهما كما لم يورثا السيدة فاطمة، وكذلك العباس عمّ النبيّ ﷺ كان حيًّا وهو من ورثته بلا شكّ ومع ذلك فلم يرث. أضِفْ إلى ذلك أنّ الفقه الجعفريّ لا يورث المرأة من العقار والأرض شيئًا؟ يروي الكليني في الكافي روايات عديدة في باب مستقل بعنوان (إنّ النّساء لا يرثن من العقار شيئًا)، منها عن الإمام محمد الباقر، قال: «النّساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا»[2].

ويروي الصّدوق أيضًا، عن ميسر قال: سألت الإمام جعفر الصادق عن النّساء ما لهنّ من الميراث؟ فقال: «فأمّا الأرض والعقارات فلا ميراث لهنّ فيه»[3]، وقد ذكر مجتهدوهم اتفاق علمائهم على عدم ميراث المرأة في العقارات والأراضي، كما جاء في كتب الفقه الجعفريّ، وبناءً على قولهم وحسب ما ذكروا، فلا يجوز السؤال عن وراثة فَدَك للسيدة فاطمة، لأن فَدَك عقار لا ريب فيها.

وحتى المجلسيّ اعترف بعدالة الصدّيق واحترامه للزهراء، فقال: «إنّ أبا بكر لّما رأى غضب فاطمة قال لها: «أنا لا أنكر فضلك وقرابتك من رسول الله ﷺ، ولم أمنعك من فَدَك إلا امتثالًا لأمر رسول الله ﷺ - وذكر الحديث - وقد فعلت هذا باتفاق المسلمين، ولست بمتفرّد في هذا، وأمّا المال فإن تريديه فخذي من مالي ما شئت لأنّك فرع أبيك، وشجرة طيبة لأبنائك، ولا يستطيع أحد أن ينكر

---

(١) أصول الكافي، (١/ ٣٢).

(٢) فروع الكافي، كتاب المواريث، (٧/ ١٣٧).

(٣) الكتاب المسمى من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه القمّي (الصدوق)، كتاب الفرائض والميراث، (٤/ ٣٤٧).

فضلك[1]، أما موقف الإمام عليّ حين أصبح خليفة، فيذكره المؤلّف مرتضى، فيقول: «إنّ الأمر لمّا وصل إلى عليّ بن أبي طالب كُلّم في ردّ فَدَك، فقال: إني لأستحي من الله أن أردّ شيئًا مَنَعَ منه أبو بكر وأمضاه عليّ»[2] اهـ.

والجدير بالذكر وبعد استعراض روايات الفريقين في قضية فَدَك، ومدى حقيقة وحجم الخلاف الذي حصل، والذي لا يتجاوز مطالبة الخليفة الشرعيّ بميراث، ثم الامتثال لأمر الشرع والسمع والطاعة فيه، وهذا هو شأن أهل البيت والصحابة في كلّ ما حدث بينهم بشكل عامّ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3].

والمشهور عن أبي بكر رضي الله عنه أنّه ترضّى السيدة فاطمة عليها رضوان الله وتلاينها قبل موتها فرضيت عليها السلام، روى ابن سعد عن إسماعيل عن عامر قال[4]: «جاء أبو بكر إلى فاطمة حين مرضت فاستأذن فقال عليٌّ: هذا أبو بكر على الباب، فإن شئت أن تأذني له، قالت: وذلك أحبُّ إليك؟ قال: نعم، فدخل عليها واعتذر إليها - أي بيّن له عذره - وكلّمها فرضيت عنه».

مصاهرات أخرى لسيّدنا عليّ رضي الله عنه

تزوّج سيدنا عليٌّ بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء عليها رضوان الله بأُمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وأمّها زينب بنت رسول الله ﷺ، وعن أبي قتادة رضي الله عنه[5]: «**أنّ النبيّ ﷺ صلى وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، كان إذا ركع وضعها، وإذا قام حملها**» اهـ.

---

(١) الكتاب المسمى حق اليقين، المجلسّي، الشيعة وأهل البيت، إحسان ظهير.

(٢) الشافي، (ص/ ٢٣١). شرح نهج البلاغة، (٤/ ٨٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) الطبقات الكبرى، (٨/ ٢٧)، رقم (٩٨٢٣).

(٥) المعجم الكبير، (١٦/ ٢٩٧)، رقم (١٨٤٩٩).

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت[1]: أهدى النجاشي إلى رسول الله حلقة فيها خاتم ذهب فيه فص حبشيّ، فأخذه رسول الله ﷺ بعود، وإنّه ﷺ لمعرض عنه، أو ببعض أصابعه، ثم دعا بابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص، فقال: «تحلي بهذا يا بنيّة».

وهناك السّيدة عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عديّ بن كعب، وأمّها أمّ كريز بنت الحضرميّ بن عمار بن مالك بن عوف، وقد أسلمت فبايعت وهاجرت، وهي أخت الصحابيّ سعيد بن زيد من المسلمين الأوائل وأحد العشرة المبشرين بالجنّة، وعن يحيى بن عبد الرّحمن قال: كانت عاتكة بنت زيد تحت عبد الله ابن أبي بكر الصديق فجعل لها طائفة من ماله على أن لا تتزوّج بعده! ومات، فأرسل عمر إلى عاتكة: إنّك قد حرّم عليك - أي منعت - ما أحلّ الله لك فرُدّي إلى أهله المال الذي أخذته وتزوّجي، ففعلت، فخطبها عمر فنكحها، وكان عبد الله ابن أبي بكر قد أُصيب يوم الطائف ثم مات، وحين طُعِنَ عمر كانت في المسجد، وحين مات بكته وحزنت عليه، ثم تزوّجها الزّبير بن العوّام، وكان الزّبير غيورًا فمنعها من الخروج إلى المسجد مخافة الفتنة لأنّها كانت جميلة، ولكنّها ذكّرته بحديث النبيّ ﷺ[2]: «**لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلَاتٌ**». أي غير متطيّبات. ثم نال الزّبير الشّهادة وقُتِلَ في موقعة الجمل، فتزوّجها محمّد بن أبي بكر ونال الشّهادة، ورثى لحالها عليّ ابن أبي طالب، فأراد الزواج منها فرفضت وقالت: أضنّ بابن عمّ رسول الله ﷺ على الشّهادة، إذ كان المسلمون يتندّرون بها ويقولون: مَن أحبَّ الشّهادة فليتزوّج عاتكة، ونزل عليٌّ رضي الله عنه عند رغبتها لكنها كانت من نصيب ابنه الحسين عليه رضوان الله، وأحبّته وشهدت مصرعه في كربلاء، ورحلت مع زينب إلى مصر، ولم تتزوّج بعده حتى قضت نحبها رحمها الله تعالى.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، (٤/ ٦٢٠)، رقم (٣٦٤٤).
(٢) سنن أبي داود، (١/ ٢٢٢)، رقم (٥٦٥).

مصاهرات أخرى بين ءال البيت والصحابة

منها: سكينة بنت الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، وأمّها الرباب بنت امرئ القيس الكلبية، تزوّجها مصعب بن الزّبير بن العوّام فولدت له فاطمة، ثم قُتِل عنها في الكوفة، وهي التي قالت لأهل الكوفة: يتمتموني صغيرة وأيّمتموني كبيرة، وقتلتم جدّي وأبي وعمّي وإخوتي وزوجي! ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، فولدت له عثمانَ وحكيمًا وربيعة، فهلك عنها، فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف الزهريّ.

وقال الزركليّ[1]: سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنها: تزوجها مصعب بن الزّبير، وقتل، فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله، فمات عنها، وتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

ويقول صاحب كتاب «جمهرة أنساب العرب»[2]: «وَلَدُ عبدِ العزيز بن مروان ابن الحكم: عمرُ أمير المؤمنين الخليفة الفاضل البرّ التقيّ رضي الله عنه، أمّه: أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. والأصبغُ، يكنى أبا زبّان، مات قبل موت أبيه عبد العزيز بعشرين يومًا، وتزوّج سكينةَ بنتَ الحسين بن عليّ وأبو بكر[3] شقيق أمير المؤمنين، وكان فاضلاً، وكان أسنَّ من أخيه عمر، فكان عمر قد رضيه للخلافة بعده، فَسُقِيا السّم معًا، فماتا جميعًا رحمهما الله ولعن من كادهما» اهـ.

ومن المصاهرات: «محمد بن عبيد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس، وأمّه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان يقال لمحمّد: الديباج لجماله، وكان أبوه عبد الله بن عمرو يدعى: المطرف لجماله. فولد محمّد بن عبد الله بن عمرو خالدًا، وعبد العزيز، وعبيد الله، والقاسم،

---

(١) الأعلام، الزركلّي، (٣/ ١٠٦).

(٢) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسّي، (١/ ١٠٥).

(٣) هو شقيق أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما.

وعثمان، وأمّهم أم كلثوم بنت إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عبيد الله وأمّها لبابة بنت عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. قال محمّد بن عمر: وكان محمّد بن عبدالله ابن عمرو بن عثمان أصغر ولد فاطمة بنت حسين، وكان إخوته من أمّه يرقون عليه ويحبونه وكان مائلًا إليهم لا يفارقهم. أخبرنا أحمد بن محمّد بن الوليد الأزرقيّ، عن داود بن عبد الرّحمن العطّار، قال: رأيت عبد الله بن حسن بن حسن أتى أخاه محمّد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فوجده نائمًا فأكبّ عليه فقبّله، ثم انصرف ولم يوقظه. قال محمّد بن عمر: وكان محمّد بن عبد الله بن عمرو فيمن أُخِذَ مع إخوته بني حسن بن حسن، فوافوا بهم أبا جعفر المنصور بالربذة فضربه من بينهم مائة سوط وحبسه معهم بالهاشمية فمات في حبسه، وكان كثير الحديث عالما»[1].

ومن المصاهرات: قال الطبريّ[2]: «توفي الفضلُ بن العبّاس رضي الله عنهما ولم يترك ولدًا غير ابنةٍ تزوّجها الحسن بن عليّ ثم فارقها، فتزوجها أبو موسى الأشعريّ فولدت له موسى ومات عنها، فتزوّجها عمر بن طلحة» اهـ.

ومن المصاهرات: جعفر الصادق بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، أمّه أم فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وأمّها أسماء بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر الصدّيق، ولذلك قال الإمام جعفر الصادق: «ولدني أبو بكر مرتين»، ولهذه الكلمة مغزى ومعنى لدى البعض لأن الصادق بنسبه هذا، هو علويٌّ بكريٌّ في نفس الوقت، فما صحّ من تراثه ومروياته لدى الفريقين يعدّ مادة غزيرة للبحث والدراسة والمقارنة، لأنّ هذا التراث الغنيّ هو بحقّ تراث أهل البيت والصحابة ومن تبعهم من العلماء.

وقد كان الإمام الصادق عالمًا فقيهًا مثل أبيه محمّد الباقر وجدّيه القاسم بن محمّد وعليّ بن الحسين، وعاصر الإمامين مالكَ بنَ أنس في المدينة، وأبا حنيفة

---

(١) الكامل في التاريخ، (٣/ ٢٤). الطبقات الكبرى، (٩/ ٢٦٢).
(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، (١/ ٢٢٦).

النّعمان بن ثابت في العراق وقد أخذا منه ورويا عنه، وقد كان عصر الإمام الصادق من أصدق العصور الدالّة على وحدة المسلمين وجهادهم المشترك ومواجهة أخطاء وانحراف بعض الحكّام المسلمين عبر العصور، فكما تميّز العصر الأمويّ والعباسيّ بظهور شخصيات إسلامية حكمت بالعدل والقسط كعمر بن عبد العزيز والرشيد وغيرهما، وظهرت شخصيات أخرى تفكّر بالملك والسلطة أكثر من تحمّل المسؤولية، أما بقية الحكام المسلمين فكانوا بين هذين النموذجين، وبالمقابل ظهر من العلماء والأئمة والمحدّثين ما يُؤَازي الحاكم الربانيّ وهو ما يُؤَازي العالم الربانيّ، وقد كثرت هذه النّماذج في عصر الصادق والكاظم وابن حنبل، فظهر العديد من الأئمة الأعلام، أشهرهم أئمة المذاهب والحديث والدّعوة والزهد.

وقد وُلِد الإمام جعفر الصادق في المدينة المنورة سنة ٨٠هـ، وكان رضي الله عنه يحارب أهل البدع والتطرّف والغلوّ ويبرأ إلى الله من تلك الأفكار وفرقها وقادتها الذين أخذوا عقيدتهم من أتباع ابن سبأ الذين حاربهم جدُّهُ الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول كما قال أبوه: «اللّهم إني أبرأ إليك من المغيرة وبيان السمعانيّ»، وهما من الغلاة الذين يدّعون أنهم أتباع أهل البيت، وقد كان الإمام الصادق من أئمة الفقه في عصر التابعين.

ومن المصاهرات: «وتزوجت أمُ القاسمِ بنتُ الحسن بن عليّ بن أبي طالب مروانَ بنَ أبان بن عثمان بن عفان. ثم خلف عليها عليّ بن الحسين بن عليّ»[1].

ومن المصاهرات: حفصة بنت عبد الرّحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وأمّها قرينة بنت أبي أمّية المخزوميّ، تزوّجت المنذر بن الزّبير بن العوّام فولدت له عبد الرّحمن وإبراهيم وقرينة، ثم خلف عليها بعد المنذر، الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد روت حفصة عن أبيها وعن السيدة عائشة وأمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ سماعًا. وهي أخت أسماء بنت عبد الرّحمن التي تزوّجت

(١) المحبر، محمد بن حبيب البغداديّ، (١/ ٤٣٨).

القاسم بن محمّد فولدت له عبد الرحمن وأم فروة - التي أنجبت جعفرًا الصادق ابن محمد الباقر - وأم حكيم وعيدة، وروت كأختها عن السيدة عائشة عمّتها.

ومن المصاهرات: «ولقد تزوّج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه، من بني هاشم ابنُهُ أبانُ بنُ عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر الطّيار بن أبي طالب شقيق عليّ رضي الله عنهما»[1] اهـ.

ومن المصاهرات: وحفيدة الإمام عليّ، وبنت الحسين عليهما السلام سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

ومن المصاهرات: عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهم، ولد في المدينة المنورة وبها ترعرع، أمّه اسمها أروى، وقيل الخيزران، وهي نوبية سوداء، وكان لون الإمام الرّضا يضرب إلى السواد، وكان معتدل القامة، بهيّ الطّلعة، ذا وقار، ولم يكن له من الولد إلا محمّد الجواد.

وقد قرّب المأمون العباسيّ عليًّا الرضا واستدعاه إلى بلاطه في مرو، وجعله وليًّا لعهده وزوّجه ابنته، وقد ذكر الطبريّ: أنّ عليًّا الرضا لمّا قدم مرو أحسن المأمون ضيافته ووفادته، وجمع رجال دولته، وأخبرهم أنه قَلَب نظره في أولاد العبّاس وأولاد عليّ بن أبي طالب، فلم يجد أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، فولّاه عهده ولقّبه الرّضا من ءال محمّد[2].

ولم تستمرّ ولاية عهد الرّضا للمأمون أكثر من سنتين، إذ مات رضي الله عنه على الطريق أثناء عودة المأمون إلى بغداد، فحزن عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه هارون الرشيد رحمه الله تعالى في مدينة طوس التي تعرف اليوم باسم مدينة مشهد.

واختلفت الروايات في سبب وفاته، فمنها ما يذكر أنّه مات ميتة طبيعية إثر

---

(١) الشيعة وأهل البيت، (١٤١). المعارف، الدينوريّ، (٨٦).

(٢) تاريخ الطبري، (١/ ٤٣).

مرضه وله من العمر خمس وخمسون سنة، وهناك من يروي أنّه مات مسمومًا بقطف من عنب وُضِعَ فيه السُّمّ، ويعلّل بعض المستشرقين أنّ بني العبّاس تخلّصوا بوفاته من منافس خطير كاد أن يخرج الخلافة من يدهم كليًّا.

وخلاصة الأمر في كل تلك الأحداث (ومنها الاغتيال السياسيّ) أنّ أهمّ دوافعها المآرب والامتيازات والتنافس على السّلطة والزّعامة، ما يؤكّد صحة المنهج القرءانيّ في الحكم وانتخاب الخليفة وفق مبدأ الشورى، ويؤكد صحة الخلافة الراشدة التي عبّرت عن منهج الصحابة وأهل البيت، والابتعاد عن نظام الوراثة الذي سار عليه الأمويون والعباسيون والعلويون فيما بعد، والذي حاول أن يلغيه عمر بن عبد العزيز في العصر الأمويّ، والمأمون في العصر العبّاسيّ، دون أن يتمكنا من ذلك.

وتدعونا صورة الخروج على الحاكم أو محاولة تقويم خطأ ما بدون نية الخروج عليه - والخروج شمل العلويين والأمويين والعباسيين وغيرهم - ومقتل الكثير منهم، أو الصراعات التي تؤدي إلى الاغتيال ودسّ السمّ، أن نرى أسباب الصراع على مدى ألف عام تقريبًا واضحة، وأنها أحداث سياسية مرتبطة بالحكم ولا علاقة لها بالمعتقد، وخصوصًا وقد بات واضحًا بعد معرفة هذا الكمّ الكبير من أواصر النسب والمصاهرة في جيل الصحابة والتابعين وضمنهم أهل البيت، إذ كانوا يمثّلون أسرة أو عشيرة واحدة متلاحمة متداخلة، حتى يستطيع كلّ فرد أن ينادي قريبه: يا ابن العم، وخصوصًا ما كان بين البيوت الثلاثة المشهورة، ما يجعلهم نسيجًا واحدًا يصعب التمييز بينهم لشدّة التقارب بينهم، وحين ننظر إلى البيت النبويّ من زاوية البيت الكبير، لا نشعر بوجود فرق بين أهل البيت والصحابة، وحين ننظر من زاوية البيت النبويّ الشريف من بني عبد المطلب سنكون أمام كفتي الميزان: أهل البيت والصحابة، تربط بينهم تلك الأواصر المنيرة من الأخوة والمحبّة والمصاهرة، والنسب والأصل المشترك المبارك.

ومن المصاهرات: محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم رضي الله

عنهم، ولد بالمدينة المنورة، وأمّه أمّ ولد نوبية، وكان عظيم الجود، واسع الكرم، كثير العبادة، زوّجه المأمون بعد وفاة أبيه عليّ الرضا بسنتين ابنته الثانية أمّ الفضل، ورجع بها إلى المدينة المنورة. إذ تذكر كتب التاريخ أنّ المأمون العباسي قال لأبي جعفر محمد الجواد ابن علي الرّضا بعد أنّ شهد حسن حاله وقوة علمه: إنّي مزوجك ابنتي أمّ الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي، فخطبها أبو جعفر وبذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وتزوجها[1].

ومن المصاهرات: محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب، وأمّه أسماء بنت عقيل ابن أبي طالب، فولد محمّد بن عمر عمر، وعبد الله، وعبيد الله، وأمّهم خديجة بنت عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب[2].

(١) نور الأبصار في مناقب ءال بيت النبي المختار، (٣٢٨).
(٢) الطبقات الكبرى، (٩/ ٢٥٠).

التسميات بين الصحابة وءال بيت النبيّ

تسمية جملة من أبناء وأحفاد سيّدنا عليّ رضي الله عنه بأسماء الصحابة

من أوضح الأدلّة على حسن العلاقة بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم وءال بيت النبيّ ﷺ وخصوصًا سيّدنا عليًا والخلفاء الثلاثة: تسمية سيدنا عليّ بعض أولاده بأسماء من سبقه بالخلافة، وهذا دليل المحبة، إذ لا يسمّي المرء أولاده إلا بمن يحبّ أسماءهم، فعندما يذكر لنا الشيخ المفيد وغيره أولاد سيدنا عليّ رضي الله عنه يذكر منهم: «عبد الله، عمر، عثمان»[1] اهـ. مع العلم أنّ أبا بكر الصديق اسمه عبد الله بن أبي قحافة.

وفي الكافي رواية جاء في سندها: «عن عيسى بن عبد الله بن محمّد بن عمر ابن عليّ بن أبي طالب عن أبي عبد الله عليه السلام»[2] اهـ.

والمرء لا يسمّي أولاده بأسماء خصومه وأعدائه، لأنّه يريد أن ينساهم ويتخلّص من ذكراهم.

ونذكر خصوصًا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة رضي الله عنهم، ومنهم «أبو بكر بن عليّ وأمّه ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية، وقتل أبو بكر بن الحسن[3] أيضًا، وأمّه أمّ ولد، قتله حرملة بن الكاهن، رماه بسهم»[4] استشهدا مع الحسين عليهم رضوان الله[5]، «وقتل أبو بكر بن الحسين بن علّي بن أبي طالب

---

(١) الكتاب المسمى الإرشاد في معرفة حجج الله تعالى على العباد، الشيخ المفيد، (ص/ ٣٥٤، ٣٥٥).

(٢) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب الإشارة، والنص على أبي الحسن موسى. (١/ ٣٦٦).

(٣) التنبيه والإشراف، المسعوديّ، (ص/ ٢٦٣).

(٤) الكامل في التاريخ، (٢/ ١٨٣). ذكرهما في تعداد من قُتِلَ مع الحسين الشهيد في كربلاء.

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويريّ، (٢٠/ ١٣٦).

وأمّه أمّ ولد قتله عبد الله بن عقبة الغنويّ»[1]، وأبو بكر بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط عليه السلام[2]، أبو بكر بن موسى الكاظم رضي الله عنه. وأما التكنّي بكنية أبي بكر: فممن تكنّى بها عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد[3]، وعليّ الرضا بن موسى الكاظم عليهم السلام[4].

أما التسمية بعمر: فهي من أكثر التسميات عند ءال بيت النبوة، بل إنّ هذا الاسم قد استمر في ثمانية عشرة جيلًا من ذرية السبطين رضي الله عنهم، ومن ذلك:

عمر الأطرف بن عليّ[5]، وعمر الأشرف بن عليّ بن الحسين[6]، عمر بن الحسن وقد قُتِل مع عمّه الحسين رضي الله عنهم[7]، وقيل لم يقتل بل «استُصْغِرَ فَترُكَ فلم يقتل وأمّه أمّ ولد»[8]، عمر بن الحسين الشهيد، عمر (الشجريّ) بن عليّ الأصغر بن عمر الأشرف بن زين العابدين، عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد بن عليّ بن الحسين ابن عليّ أمير المؤمنين رضي الله عنهم[9]. عمر بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق[10].

---

(١) تاريخ الطبري، (٣/ ٣٤٣). ذكره في تعداد من قُتِلَ مع الحسين الشهيد في كربلاء.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصبهانّي، (ص/ ١٨٨).

(٣) كشف الغمة، (٢/ ٣١٧).

(٤) مقاتل الطالبيين، (ص/ ٥٦١ - ٥٦٢).

(٥) كشف الغمة في معرفة الأئمة، (٢/ ٦٦).

(٦) الإرشاد، المفيد، (ص/ ٢٦١).

(٧) تاريخ اليعقوبّي، (ص/ ٢٢٨) في أولاد الحسن.

(٨) تاريخ الطبري، (٣/ ٣٤٣). ذكره في تعداد من كان مع الحسين الشهيد في كربلاء.

(٩) تراجم أعلام النساء، محمد الأعلميّ الحائريّ، ص ٣٥٩. تحت اسم بنت الحسن بن عبيد الله بن جعفر الطيار.

(١٠) ذكره ابن الخشاب، راجع تواريخ النبيّ ﷺ والآل لمحمد تقيّ التستريّ. تفاصيل ذلك موجودة في «مقاتل الطالبيين».

وأما اسم عثمان، فقد كان في بيت النّبوة أيضًا، فمن ذلك

عثمان بن عليّ بن أبي طالب، أمّه أمّ البنين الكلابية، قتل مع أخيه الحسين الشهيد في الطفّ[1]، عثمان بن عقيل بن أبي طالب[2]، عثمان بن يحيى بن سليمان، من ذرية عليّ بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

اسم طلحة في أهل البيت

طلحة بن الحسن السبط رضي الله عنه، وأمّه أمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه[3]، طلحة بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم.

تسمية عائشة في ءال البيت

وممن سُمّيَ بعائشة في ءال عليّ رضي الله عنه: عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، عائشة بنت موسى الكاظمَ[4]، عائشة بنت جعفر بن موسى الكاظم[5]، عائشة بنت عليّ الرضا[6]، عائشة بنت عليّ الهادي[7]، عائشة بنت محمد بن الحسن ابن جعفر بن الحسن المثنى.

---

(١) تاريخ اليعقوبّي، (١/ ٥٤٤).

(٢) أنساب الأشراف، البلاذريّ،(ص/ ٧٠).

(٣) تاريخ اليعقوبّي، (ص/ ٢٢٨). تواريخ النبيّ ﷺ والآل، التستريّ، (ص/ ١٢٠).

(٤) الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائريّ، (١/ ٣٨٠).

(٥) سر السلسلة العلوية، أبو النصر البخاريّ، (ص/ ٦٣).

(٦) ذكرها ابن الخشاب في كتابه «مواليد أهل البيت» وقال: «ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة، هم: محمد القانع، والحسن، وجعفر، وإبراهيم، والحسين، والبنت اسمها عائشة» اهـ. الفصول المهمة، (ص/ ٢٤٢).

(٧) تواريخ النبيّ ﷺ والآل، التستريّ، (ص/ ١٢٨).

أقوال لآل البيت الّذين نهلوا من مَعين النبيِّ ﷺ والصحابة في العقيدة والأحكام

كان ابن عباس رضي الله عنهما وهو من ءال النبيّ ﷺ «يأتي لبيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث، فيجده قائلًا - أي نائمًا وسط النهار - فيتوسد رداءه على بابه، فتسفي الريحُ الترابَ على وجهه، فإذا خرج ورءاه قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ، ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ فيقول: لا، أنا أحقّ أن ءاتيك»[1] اهـ.

وهذا زين العابدين رضي الله عنه يقول عن سعيد بن جبير الإمام التابعيّ العالم الشهيد الذي قتله الحجّاج ما رواه ابن سعد عن الأعمش عن مسعود بن مالك قال: قال لي عليّ بن حسين: ما فعل سعيد بن جبير؟ قلت: صالح. قال: ذاك رجل كان يمرّ بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنّه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق»[2] اهـ.

ومن باب أولى فقد اهتم علماء ءال البيت كغيرهم من علماء الأمّة ببيان العقيدة السليمة التي جاء بها رسول الله ﷺ، فليعلم أنّ العقيدة المنجية يوم القيامة هي اعتقاد أنّ الله موجود بلا مكان ولا يسكن السماء ولا يجلس على العرش كما يقول أهل الكتاب والمشّبهة من الذين يدّعون الإسلام. فاعتقاد أهل الحقّ، أنّ الله منـزّه عن التغيُّر والحدوث. فالله كان موجودًا قبل خلق المخلوقات، كان موجودًا قبل المكان، قبل السماء وقبل الجهات، وقبل العرش وقبل الماء، وقبل كل شىء. فقد أجمع أهل الحقّ على تنزيه الله عن المكان والجهات والحدّ والتغير والحدوث والجلوس والقعود وغيرها من العقائد التي تبثها المشّبهة بين المسلمين.

---

(١) الصواعق المحرقة، (٢/ ٥٢٣).

(٢) الطبقات الكبرى، (٥/ ٢١٦).

وقد كان لأهل البيت عليهم السلام دور كبير في حفظ عقيدة التنـزيه من سهام التشبيه، وإلى الآن فكلامهم في نفي الشبيه والمكان عن الله نبراس يهدي ليالي الحيارى ويثبّت المؤمنين.

من أقوال الإمام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

قال الإمام عليّ رضي الله عنه: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا» فقال رجل: يا أمير المؤمنين، كفرهم بماذا: أبالإحداث أم بالإنكار؟ قال: «بل بالإنكار ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء»[1]. ومعنى قولهم: أبالإحداث؟ أي بوصفهم له بما لا يليق به.

وقال رضي الله عنه: «من زعم أنّ إلهنا محدود، فقد جهل الخالقَ المعبود»[2] والمحدود عند علماء التوحيد ما له حجم، صغيرًا كان أو كبيرًا، والحدُّ عندهم هو الحجم إن كان صغيرًا وإن كان كبيرًا، الذَّرَّة محدودة والعرش محدود، والنّور والظلام والريح كلٌّ محدود. قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[3]، السموات والأرض هما من العالم الكثيف، والنّور والظلام هما من العالم اللطيف، فالآية فيها دليل على أنّ الله خالق للأجسام الكثيفة واللطيفة فهو لا يشبهها. فالجسم الكثيف هو ما يُضبط باليد كالإنسان والشجر والشمس والماء، وأما الجسم اللطيف فهو ما لا يُضبط باليد كالنّور والظلام والروح والهواء. والأجسام الكثيفة واللطيفة لها حدّ ومقدار

---

(١) نجم المهتدي ورجم المعتدي، ابن المعلم القرشّي (ص/ ٥٥١). محمد بن محمد الشهير بابن المعلم القرشيّ (ص/ ٥٨٨). وابن المعلم هو محمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن عبد الخالق ابن حسن القرشيّ المصريّ فخر الدين بن محيي الدين، ولد في شوال ٦٦ اهـ، حدّث وكان فاضلًا، وولي قضاء بلد الخليل وأذرعات، وله مصنفات، توفي سنة ٧٢٥ اهـ بدمشق». الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر (٤/ ١٩٧).

(٢) حلية الأولياء، (١/ ٧٣).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

وحجم وكمية، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[1]، فالتحيُّز في المكان والجهة من صفات الحجم والله ليس حجمًا. فالذَّرَّة هي أصغر حجم خلقه الله مما تراه العيون كالهباء. والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزّأ أصغر حجم خلقه الله، ولا يُرى بالعين المجرّدة. فالحدّ أي الحجم، وليس معنى المحدود مخصوص بمن له حجم صغير، بل مَن كان له حجم كبير فهو محدود أيضًا.

وروى أبو نُعَيم الحافظ[2]: «عن النّعمان بن سعد، قال: كنت بالكوفة في دار الإمارة (دار عليّ بن أبي طالب) إذ دخل علينا نوف بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين، بالباب أربعون رجلًا من اليهود، فقال عليّ: عليَّ بهم، فلمّا وقفوا بين يديه قالوا له: يا عليّ، صِفْ لنا ربَّك هذا الذي في السماء[3]، كيف هو؟ وكيف كان؟ ومتى كان؟ وعلى أيّ شيء كان؟

فاستوى عليٌّ جالسًا وقال: معشر اليهود، اسمعوا منّي ولا تبالوا أن لا تسألوا أحدًا غيري، إنّ ربي هو الأول لم يبدُ ممّا[4]، ولا ممازج معها[5]، ولا حالٌّ وهْمًا[6]، ولا شبح يُتَقَصَّى[7]، ولا محجوب فيُحْوى[8]، ولا كان بعدَ أن لم يكن فيقال حادث. بل جلَّ أن يُكَيَّف المكيّف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان، ولا لتقلّب شأن بعد شأن، وكيف يوصف بالأشباح وكيف ينعت باللسن الفصاح مَن لم يكن في الأشياء فيقال بائن[9] ولم يبن عنها فيقال كائن، بل هو بلا كيفية.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٢) حلية الأولياء، (١/ ٧٢- ٧٣).

(٣) يزعم اليهود أن الله يسكن السماء جالس على العرش، وهذا ضدّ معتقد الحق.

(٤) ليس له بداية.

(٥) لا يحلّ في شيء.

(٦) ليس كما يقتضي الوهم.

(٧) ليس جسماً.

(٨) لا يحويه مكان.

(٩) لا يشبه أحدًا من خلقه.

ثم قال: علمه بالأموات البائدين كعلمه بالأحياء المتقلّبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى وعلمه بكل شيء، لا تحيّره الأصوات، ولا تشغله اللغات، سميع للأصوات المختلفة بلا جوارح له مؤتلفة، مدبّر بصير، عالم بالأمور، حيٌّ قيّوم سبحانه. كلّم موسى تكليمًا بلا جوارح ولا أدوات، ولا شفة ولا لَهَوات[1]، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، من زعم أنّ إلهنا محدود، فقد جهل الخالق المعبود» اهـ.

وروى أبو منصور البغداديّ[2] أنّ عليًّا كرّم الله وجهه قال: "كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان« اهـ. أي بلا مكان، لأنَّه تعالى موجود بلا كيفٍ ولا مكان، فلو كان لله تعالى مكان وجِهة لكان له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان مُحدَثًا مخلوقًا محدودًا محتاجًا لِمن حدَّه بِهذا الطول والعرض والعُمق.

وفي نفس الكتاب قال الإمام عليّ[3]: «إنّ الله تعالى خلق العرش إظهارًا لقدرته ولم يتخذّه مكانًا لذاته» اهـ. فالله تبارك وتعالى هو خالقُ السَّمـوات السبع والأرضين والعرش والكرسيّ وخالق الأماكن كلّها، لذلك لا يجوز أن يُعتقد أنَّ الله تعالى موجود في مكان أو في كل الأمكنة أو أنّه موجود في السّماء أو مُتمكّن وجالس على العرش أو مُنبثّ ومنتشر في الفضاء أو أنَّه قريبٌ منّا أو بعيدٌ بالمسافة، تعالى الله سبحانه وتنـزَّه عن هذه الكيفيات كلّها.

وقال رضي الله عنه: «إنّ الذي أيّن الأين لا أين له، وإنّ الذي كيّف الكيف لا كيف له» اهـ. قوله: «إنّ الذي أيّن الأين» أي أنّ الله موجود لا مكان له، لأنّ

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزأبادي، مادة ل هـ ا: «اللَّهاةُ: اللَّحْمَةُ المُشِرْفَةُ على الحَلْقِ أَو ما بين مُنْقَطَعِ أَصْلِ اللِسانِ إلى مُنْقَطَعِ القلْبِ من أعْلَى الفَمِ، جمع: لَهَواتٌ ولَهَياتٌ ولُهِيٌّ ولِهِيٌّ ولَهَاءٌ ولِهاءٌ» اهـ. (١/ ١٧١٨).

(٢) الفرق بين الفرق، البغداديّ، (ص/ ٣٣٣).

(٣) الفرق بين الفرق، (ص/ ٣٣٣).

الله خلق المكان وكان موجودًا قبله بلا مكان ولا جهة، ولا يزال الله كما كان في الأزل بلا مكان ولا جهة. وقوله: "وإنّ الذي كيّف الكيف لا كيف له" أي أنّ الله خالق الأجرام وصفاتها، فلا يجوز أن يكون جِرْمًا أو أن يتصف بصفات الجِرْم، والجِرْم هو الجسم. فمعرفة الله لا تُطْلب بالتصوُّر ولا بالتوهُّم، لأنَّ حكم الوهم يُؤدِي إلى الغلط. بعض الناس مصيبتهم أَنهم لا يقبلون أن يعتقدوا بوجود الله تعالى دون أن يتصوَّروه. يقولون: كيف نعتقد بوجود موجود دون أن نتصوَّره؟ هؤلاء يقال لهم: الله تبارك وتعالى لا يجوز أن تُطلَبَ معرفته بالتصوُّر، لأنّ الله ليس شيئًا يُتصوَّر، لذلك مهما أتعب الإنسانُ فكْرَهُ ليتصوَّرَ اللهَ بزعمه فلن يصل إلى نتيجة صحيحة، لأنّ الله لا صورة له، فكيف يتصوَّر من ليس له صورة. ولأنه تعالى لا كيف له، فكيف يتوهم من لا تحيط به الأوهام وهو خالقها وخالق كلّ وهم. ونحن لسنا مكلفين باتباع الوهم، بل نحن مكلفون باتّباع الشرع، والقرءان أثبت أنّ الله تبارك وتعالى لا تدركه الأوهام والأفكار، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[1] أَيْ لا تُحِيطُ بِهِ الأَوْهَامُ ولا تبلغ الله تعالى العقول، فهذا الذي أثبته الشرع. وهذا الذي يقبله العقل، لأنّ العقل السليم شاهد للشرع. فأهل السُّنَّة الله تعالى هداهم للمعاني التي توافق الشرع والعقل. أما أولئك الذين لا تقبل عقولهم إلا أنْ يتصوَّروا الله فمحرومون من هذا. محرومون من التفكر الذي أمرنا الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[2]. الله تعالى أمرنا بالتفكر في مصنوعاته حتى نعرفَ أنّه لا يشبهها، لا يشبه مصنوعاته أي مخلوقاته. هذه الآية تأمرنا بالتفكر، التفكر في خلق الله مطلوب لأنه يقوّي اليقين بوجود الله وقدرته وعلمه. أما التفكر في ذات الله فممنوع، لأنه لا يشبه شيئًا فلا يمكن أن نصوّره في أنفسنا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، اللآية: ١٨٥.

قول الإمام زين العابدين رضي الله عنه

قال الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب[1] رضي الله عنهم: «أنت الله الذي لا يحويك مكان». وقال: «سبحانك لا تُحسّ ولا تُمسّ ولا تُجسّ»[2] اهـ.

ولمن يسأل عن سند الصحيفة السجادية التي ينقل منها أهل السنة بعض العبارات في تنزيه الله، نقول إنّ هذه هي الصحيفة التي رواها بالإسناد المتصل إمام من أئمة أهل السنة، وهو الإمام المحقق المحدّث اللغوي مرتضى محمد بن محمد الحسينيّ الزبيديّ رحمه الله[3]، هذا السند هنا منقول كما هو من كتاب الإمام الزبيديّ رحمه الله، وهو كما سترون متصل إلى رجال أهل البيت ومنهم إلى الإمام السّجاد زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم، قال الإمام مرتضى الزبيديّ الحسينيّ: «أخبرنا السيد القطب محيي الدين نور الحقّ بن عبد الله الحسينيّ، والسيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسينيّ، عن محمد طاهر الكوراني، عن أبيه إبراهيم ابن الحسن الكورانيّ، عن المعمر عبد الله بن سعد الله المدنيّ، عن الشيخ قطب الدين محمّد بن أحمد الحنفيّ، عن أبيه، عن الإمام الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسيّ، عن السيّد شرف الدين محمّد المطلق الحسينيّ، عن قطب الأقطاب السيّد جلال الدين الحسينيّ بن أحمد بن الحسين الحسينيّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه السيد أبي المؤيد عليّ، عن أبيه أبي الحارث جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه محمود، عن أبيه عبد الله، عن أبيه عليّ الأشقر، عن أبيه أبي الحارث جعفر، عن أبيه عليّ التقيّ، عن أبيه محمّد التقيّ، عن أبيه عليّ الرضا، عن أبيه موسى

---

(١) إتحاف السادة المتقين، (٤/ ٣٨٠).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة ح س: «حَسَسْتُ الشيءَ: أحسَسْتُهُ» اهـ. (١/ ٦٩٣)، مادة م س: «مَسِسْتُهُ بالكسر أَمَسُّهُ مَسًّا ومَسيسًا ومِسّيسَى كخِلّيفَى، ومَسَسْتُه كنَصَرْتُهُ، وربما قِيلَ: مِسْتُه بحذفِ سينٍ أي: لَمَسْتُهُ والمَسُّ: الجُنونُ.» اهـ. (١/ ٧٤١)، مادة ج س: «الجَسُّ: المَسُّ باليَدِ كالاجْتِسَاسِ، ومَوْضِعُهُ: المَجَسَّةُ» اهـ (١/ ٦٩٠).

(٣) إتحاف السادة المتقين، (٤/ ٣٨٠).

الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمّد الباقر، عن أبيه الإمام السجّاد ذي الثفنات[1] زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين أنّه كان يقول: «ثم سرد كلامًا من الصحيفة السجادية، وكان مما فيه: «أنت الله الذي لا يحويك مكان»، «سبحانك أنت الله الذي لا تحد فتكون محدودًا»، «سبحانك لا تـُحس ولا تـُجسّ ولا تـُمسّ».

قول الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه

قال الإمام جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين رضي الله عنهم[2]: «من زعم أنّ الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك. إذ لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدثًا (أي مخلوقًا)» اهـ. فالله تعالى غنيٌّ عن العالمين، أي مستغنٍ عن كلّ ما سواه أزلًا وأبدًا، فلا يحتاج إلى مكان يقوم به أو شيء يحلّ به أو إلى جهة. ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيّز والجهة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]، فلو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد وطول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدثًا محتاجًا لمن حدَّه بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق.

---

(١) في المطبوع كُتب: «ذي النفقات» ولعلّ ما أُثبِتَ هنا هو الصواب لأنه كان يلقب رضي الله عنه «بذي الثـَفِنات»، كما قاله الزبيديّ في «تاج العروس»، وقبله قاله صاحب «القاموس المحيط» وذكر مثل هذا غيرهما، وفي تفسير أبي السعود أنه أطلق عليه ذلك: «لما أحدثتْ كثرةُ سجودهما في مواقعه منهما أشباه ثِفنات البعير» أي أحدثت كثرة سجودهما - مراده عليّ بن الحسين وعليّ ابن عبد الله بن عباس - ءاثارًا ظاهرة في الجبهة ونحوها.

(٢) الرسالة القشيرية، القشيريّ، (ص/٦).

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

إشارات ظاهرة لا خفاء فيها

هناك إشارات واضحة في أن أهل السنة والجماعة يحترمون ويجلّون ءال بيت النبيّ ﷺ، ولكن في المقابل نرى مواقف غامضة لا بدّ من توضيحها لكل ذي لبّ، ومنها:

- أننا لا نجد واحدًا من أهل السنة سبّ واحدًا من ءال البيت، بل يتقربون إلى الله بحبّهم، وهذا ما لم يستطع أحد إنكاره، ولو بالكذب.
- لم يجعل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الخلافة في عقبهما، بل إنّ عمر عليه رضوان الله جعل الشورى في ستّة، وأوصى أن لا يليَ الخلافة أحد من بني الخطاب أبدًا. لقد اختار عمر رضي الله عنه ستةَ أشخاص للشورى بعد وفاته، ثم تنازل ثلاثة منهم، ثم تنازل عبد الرّحمن بن عوف، فبقي عثمان وعليّ رضي الله عنه، فلماذا لم يذكر عليّ منذ البداية أنّه موصى له بالخلافة؟
- لا يخفى أنّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قد بايعا الرسول ﷺ تحت الشجرة، وأنّ الله أخبر بأنّه قد رضي عنهما وعلم ما في قلبيهما، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].
- الصلاة هي من أعظم أركان الإسلام العملية، والرسول ﷺ استخلف أبا بكر رضي الله عنه بالقيام مقامه في الصلاة حال مرضه، وعليّ عليه رضوان الله موجود.
- بعد وفاة الرسول ﷺ، تولّى الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم وقد ثبت أنّ عليًّا صلّى خلفهم مقتديًا بهم.
- كانت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

كبيرة جدًّا، منها: فتح بلاد فارس وبلاد الشام، وبيت المقدس ومصر وأفريقيا وبلاد السند وغيرها، فهذا يعدّ نصرًا من الله للإسلام بفضل هؤلاء الأصحاب الأكارم ومن اتبعهم وسار تحت قيادتهم من الجيوش وغيرهم.

- وقد ثبت أنّ عمر ولّى عليًّا في بعض الغزوات ليتولى النيابة عنه كما في فتح بيت المقدس، فيُفْهَمُ مِن فعل كلٍّ منهما أنه محبّ لصاحبه، ناصح له، وأن عليًّا رضي الله عنه كان مِنْ أهل النصح لعمر عليه رضوان الله، وكان مِن خُلَّصِ وزرائه، وعمر عند عليّ خليفة رضى وهدى.

- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، في حدث يُعَدُّ مِنْ أعظم أحداث الإسلام ألا وهو هجرة النبيّ المصطفى ﷺ من مكة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة كان صاحبه في هذه الرحلة أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان اختيار رسول الله ﷺ له على اعتبار أنه أفضل رفيق يحظى به المرء في رحلة مهمة، فالله تعالى جمع بين نبيه الكريم ﷺ وبين هذا الرجل بصيغة الجمع في قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾.

- يروى في عدّة كتب عن الإمام جعفر الصادق قوله مفتخرًا[2]: «أولدني أبو بكر مرتين» لأنّ نسبه ينتهي إلى أبي بكر رضي الله عنه من طريقين:

الأول: طريق والدته فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

والثاني: طريق جدته لأمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر التي هي أم فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

- إنّ مجتمع الصحابة مجتمع يسوده التحابّ والتناصح وهو بعيد عن التباغض والصراعات، قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، (٦/ ٢٥٥).

بينهم ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

- الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجلاء نزلت فيهم ءايات الثناء والمدح من مثل قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[4]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[5]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[6]، وقوله سبحانه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[7]، وكثير من الآيات، فضلاً عن الأحاديث النبوية.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٢) سورة ءال عمران، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٢ – ٦٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٦) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٧) سورة ءال عمران، الآية: ١١٠.

وأمّا حديث الكساء خاصّ بالخمسة كما هو نصّ الحديث الذي رواه مسلم وغيره[1]: عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة رضي الله عنها: «خرج النبيُّ ﷺ غداةً وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]»، فالذين أدخلهم الرسول هم الذين ذكرهم عليه الصّلاة والسّلام فلا ندخل غير من ذكره ولا نخرج من ذكره.

(١) صحيح مسلم، باب فضائل أهل بيت النبيّ ﷺ، (٧/ ١٣٠)، رقم (٦٤١٤).
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

الختام

في ختام بحثنا المختصر هذا أحببنا أن نبيّن أن محاولتنا هذه تصبّ في إطار تسليط الضوء على الأخوّة والمحبة التي كانت تجمع بين كفتي الميزان أهل البيت والصحابة، ونحن نعلم أن هذا الموضوع من المواضيع الحساسة والخطيرة والتي أكثر المغرضون في الكتابة فيها، لتأجيج نار العداوة وبثّ الشحناء والبغضاء والتناحر بين المسلمين في مئات الكتب والصحف التي تتكلم باسم الوحدة والتقريب ولكنها تريد الفُرقة والتخريب.

ولقد كانت فكرة إبراز مآثر الصحابة وأهل البيت رضي الله عنهم جميعًا، من خلال التراجم التي عُرِضت من أهداف هذا الكتاب الأساسية، لحثّ المسلم ولفت نظره إلى أهمية الاطلاع على تلك المآثر وذلك التراث الغنيّ لهذا الجيل الفريد، واتخاذه قدوة وأسوة حسنة، باعتباره الجيل الذي كان قريبًا جدًّا من العصر النبويّ الذهبيّ والذي استلهم تعاليم القرءان وهدي النبوة، فكان محطّ أنظار أجيال المسلمين على مرّ التاريخ، وتؤيده بمنهجية استبعاد أية رواية مكذوبة تناقض المنهج الوسطيّ الذي يؤكّد إيمان هؤلاء الرجال العظام وأخوتهم التحرّر من التقليد الأعمى والفهم غير السليم لذلك التاريخ المجيد، لأن الصورة السوداء المناقضة لذلك المنهج الربانيّ لا تليق بأن تُنْسب لأهل البيت ولا للصحابة.

إنى أحبُّ أبا حفصٍ وشيعتَهُ ... كما أحبُّ عتيقًا صاحبَ الغارِ

وقد رضيتُ عليًا قـدوةً علمًا ... وما رضيتُ بقتلِ الشيخِ في الدارِ

كلُّ الصحابةِ سادتي ومعتقدي ... فهل عليَّ بهذا القولِ مِنْ عارِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسول الله محمد وءاله الطاهرين وصحابته الطيبين.

مُعْتَقَدُ ءَالِ البَيْتِ النَبوي الشَرِيف

عقيدة أهل الحق قاطبةً[1]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

تنزيه الله عن المكان

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان».

وقال أيضا:

«إن الله خلق العرش إظهارا لقدرته ولم يتخذه مكانا لذاته».

قال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير الحسيني رضي الله عنه:

«غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان».

قال الشيخ محمد عثمان الميرغني المكي الحنفي الحسيني:

«وليس تعالى بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا متحرك ولا ساكن، ولا يوصف تعالى بالصغر ولا بالكِبَرِ، ولا بالفوقية ولا بالتحتية، ولا بالحلول في الأمكنة ولا بالاتحاد ولا بالاتصال ولا بالانفصال، ولا باليمين ولا بالشمال ولا بالخلف ولا بالأمام، ولا بغير ذلك من صفات الحوادث».

---

(١) جمعها وأَعَدَّها الحسيب النسيب السيد الشريف الشيخ الأستاذ الدكتور الطيب كمال بن يوسف الحوت الحسيني رئيس جمعية السادة الأشراف.

الـــردة

قال الشيخ الفقيه محمد بن عابدين الحسيني الدمشقي صاحب الحاشية:

«قال ابن ســحنون المالكي: أجمع المسلمون على أن شاتمه ـ أي شاتم النبي ـ كافر».

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الحوت الحسيني نقيب السادة الأشراف في ولاية بيروت:

«من الأشــياء المكفرة الرضا بالكفر والاستخفاف باسم من أســمائه أم أمْره أو وعده أو وعيده أو الســخرية بالشريعة أو حكم من أحكامها أو شتم ملك الموت أو ملكا من الملائكة أو نبيا من الأنبياء، أو شــتم دين الإسلام. ومن أحكام الردة أن من وقع في الكفر مازحا كان أو غاضبا خرج من الإسلام ولا يعود إليه إلا بالشهادتين».

تنزيه الله عن الحد والجهة

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود».

قال الإمام علي زين العابدين السّجّاد ابن الإمام السبط الشهيد الحسين رضي الله عنهما:

«أنت الله ســبحانك لا يحويك مكان، لست بمحدود فتُحَد، لا تُحسّ ولا تُمسّ ولا تُجسّ».

قال الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه:

«من زعم أن الله في شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك, إذ لو كان في شىء لكان محصورا، ولو كان على شىء لكان محمولا، ولو كان من شىء لكان محدثا ـ أي مخلوقا».

قال الإمام بهاء الدين محمد مهدي الرواس الصيادي الحسيني:

«ليس كمثله شىء لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السمٰوات».

قال الحافظ الفقيه اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني في شرح إحياء علوم الدين:

«ومن قدَّر الله بمقدار كفر».

قال الإمام العارف بالله السيد عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه:

«ولا يجوز عليه الحدود ولا النهاية ولا القَبل ولا البَعد ولاتحت ولا قُدّام ولاخلف ولا كيف لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرنا من أنه على العرش استوى على ما ورد به القرءان والأخبار بل هو عزّ وجلّ خالق لجميع الجهات ولا يجوز عليه الجهة».

أول الواجبات

قال المحدث الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي الحسيني:

«فاعلم أنه يجب على كل مكلف معرفته تعالى لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فالمعرفة فرض عين على كل مكلف وهو البالغ العاقل».

قال الشيخ رامز بن محمود الملك الحسيني الطرابلسي:

«إن تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين أفضل عمل يقوم به العبد, وقد اعتنى به العلماء سلفًا وخلفًا.

مخالفته للحوادث:

قال الشيخ تقي الدين الحصني الحسيني الدمشقي:

«تقدس وتبارك عن مشابهة العبيد، وتنزه عن صفات الحدوث، فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد، ومن عطل ما ثبت من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومحيد، وكلا القسمين سفيه وشقي وغير رشيد، ومن ورائهما عذاب شديد».

قال الشيخ السيد الشريف حسين الجسر الطرابلسي رضي الله عنه:

«ثبت في دليل المخالفة للحوادث أنه تعالى ليس جوهرا ولا جسما فلا يحتاج إلى مكان يقوم فيه، لأن الاحتياج إلى المكان من خواص الجواهر والأجسام. وثبت هناك أنه تعالى ليس عرضا فلا يحتاج إلى محل يحل فيه ويقوم به كما تحتاج الأعراض كالألوان والطعوم».

قال الشيخ المحدث عبد اللطيف فتح الله الحسني مفتي بيروت:

«قد ثبت بالدليلين النقلي والعقلي مخالفته تعالى للحوادث. فالنقلي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وغير ذلك من الأدلة النقلية والعقلية ذكرها أهل الكلام».

توحيد الله تعالى

قال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير الحسيني رضي الله عنه:

«التوحيد وجدان عظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه».

كلام الله تعالى

قال محدث بيروت الشيخ محمد بن درويش الحوت الحسيني:

«وكلامه تعالى النفسي قديم كسائر صفاته وأسمائه، وهو منزه عن الحروف والأصوات والمخارج والألفاظ واللغات وجميع صفات الحروف لأن القديم لا يتصف بصفة الحوادث».

نفي الكيفية عن الله تعالى:

قال الشيخ عبد الفتاح الزعبي الحسني نقيب السادة الأشراف في طرابلس الشام:

«كيف يحيط العقل بمن تقدس عن الكمية والكيفية والأينية، فنزهوا ربكم عن الخواطر الفكرية».

قال المحدث الشيخ محمد بن درويش الحوت البيروتي الحسيني:

«إن الله تعالى ليس بنار ولا ضوء ولا روح ولا ريح ولا جسم ولا عرض ولا يتصف بمكان ولا زمان ولا هيئة ولا حركة ولا سكون ولا قيام ولا قعود ولا جهة ولا بعلو ولا بسفل ولا بكونه فوق العالم أو تحته، ولا يقال كيف هو ولا أين هو».

تنزيه الله عن الجسمية والشكل

قال الشيخ عبد القادر الأدهمي الحسيني الطرابلسي:

«وهو تعالى لا ابتداء لوجوده ولا انتهاء له، ولا يشبه شيئا من الحوادث ولا يشبهه شيء منها، ولا يحتاج إلى مكان ومحل، ولا يغيره زمان».

قال الشيخ محمد بن إبراهيم الحسيني الطرابلسي في تفسير القيوم:

«منزه عن التحيز والحلول مبرّأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحق به الأفهام».

قال الإمام العارف بالله السيد عبد القادر الجيلاني الحسني رضي الله عنه:

«واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا شبيه ولا نظير ولا عون ولا شريك ولا ظهير ولا وزير ولا ند وليس بجسم فيمس ولا بجوهر فيحس ولا عرض فيقضى ولا ذي تركيب أو ءالة وتأليف وماهية وتحديد».

التوسل والتبرك بالأنبياء والصالحين

قال الحبيب الإمام زين العابدين العلوي الحسيني الحضرمي:

«حكم التوسل والاستعانة والاستغاثة بهم أي الأنبيآءوالصالحين في قضاء الحوائج الدنيوية والأخروية جائز شرعا بإجماع أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم».

الآيات والأحاديث المتشابهة

قال الإمام العارف بالله السيد أحمد الرفاعي الكبير الحسيني رضي الله عنه:

«صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة فإن ذلك من أصول الكفر».

وقال أيضا:

نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين، وطهروا عقائدكم من تفسير الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول تعالى الله عن ذلك، وإياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان واليد والعين بالجارحة».

قال الحافظ الفقيه اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني:

«الرحمٰن على العرش استوى وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء».

الرد على أهل الحلول والاتحاد:

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي الحسيني نقيب السادة الأشراف في حلب: «**إياكم وقبول هدية من يعتقد الوحدة المطلقة فإنه خارج عن طريق الإسلام**».

قال محدث بيروت الشيخ محمد بن درويش الحوت الحسيني: «**فاعلم أنه تعالى منزه عن الحلول والاتحاد بشيء من الكون وأن من قال بالحلول والاتحاد فهو كافر**».

القول في القدر

دَخَلَ قَدَرِيٌّ على الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه فقال: يا ابن بنت رسول الله؛ تعالى الله عن أن يخلق الفحشاء فقال له الإمام: يا أعرابي وجلّ ربنا أن يكون في ملكه ما لا يشاء، فقال القدري: يا ابن بنت رسول الله أيحب ربنا أن يعصى؟ فقال الإمام: يا أعرابي أفيعصى ربنا قهرا، قال القدري: يا ابن بنت رسول الله أرأيتَ إن صدني عن الهدى وسلك بي طريق الردى أحسن بي أم أساء؟ فقال الإمام: إن منعك شيئا هو لك فقد ظلم وأساء وإن منعك شيئا هو له فإنه يختص برحمته من يشاء، فأفحم القدري وبهت، وجرى مثل هذا مع الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

قال الحبيب الإمام عبد الله بن علوي الحداد الحسيني الحضرمي:

«ومعتقد أهل السنة أنه لا يكون كائن صغير ولا كبير إلا بقضاء الله ومشيئته وإرادته وقدرته، وأن العباد وأفعالهم خيرها وشرها خلق الله تعالى».

قال الحافظ الفقيه اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني:

«لم يتوقف علماء ما وراء النهر في تكفير المعتزلة».

فهرس المواضيع